المشرق

السنة الحادية والثلاثون — نيسان ١٩٣٣

البطريركيّة الانطاكيّة

بين الاتحاد والانفصال

بقلم الاب اثناسيوس حاج قب

رئيس المدرسة الشرقية في زحلة

١

هي ذلك الفرع الكبير الذي نبت على اصل الكنيسة المقدسة منذ نشأتها فامتدت منه الغصون حاملة ازهار الفضائل وثمار القداسة، وتغنّت فوق افنانه بلابل الفصاحة والبلاغة، واستظلّ بظله الوارف ربوات المؤمنين، وسقته دماء الشهداء حيناً بعد حين.

رأت الجحيم عظمة هذا الغصن فأثارت عليه عاصفة الهرطقة والشقاق لتجفف منه ماء الحياة وكادت تهصره، لولا ان المسيح الذي سقى شجرة كنيسته بغزير دمائه ابى ان ينفصل هذا الغصن زماناً طويلاً، فعمل على عودته شيئاً فشيئاً.

ولعل الزمان قد حان لكمال الاتحاد المنشود. فلنلقِ نظرة تاريخية على

البطريركية الانطاكية منذ نشأتها الى الآن لترى ما شتّت شمل ابنائها على حين انهم كانوا عائلة واحدة متحدةً برأس الكنيسة . وحينئذٍ نعمل بكل ما فينا من غيرة وحمية على تبديد الاوهام وتذليل العقبات في سبيل تحقيق تلك الامنية الجميلة ، امنية الاتحاد ، فيرجع اذ ذاك الابناء الى ابيهم وتعود العائلة والرعية لراعٍ واحد بعون الله .

لم تكد الكنيسة المقدسة تتأسس في اورشليم حتى ثار ثائر الاضطهاد عليها فلجأ بعض الاخوة الى انطاكية حيث بشروا بالدين الجديد حوالي سنة ٣٥ . ثم جاء اليها القديس بطرس ، وقضى فيها بضع سنوات مؤسساً كنيسة لم تلبث ان اصبحت مبعثاً المبشرين ترسلهم الى جميع الجهات . وهكذا قد بثّت الايمان في اماكن كثيرة ، ونالت بذات الفعل بعض السيطرة على الكنائس التي انشأتها . وهذه السيطرة قد اقرّ لها بها المجمع النيقاوي . وهكذا بدأ نشءُ البطريركية الانطاكية .

وبينا الكنيسة الانطاكية تنمو نموًّا سريعاً اذا بالبدعة الآريوسية تحدث فيها انشقاقاً بقيت تتألم منه من سنة ٣٣٠ الى سنة ٤١٥ . فكانت الاحزاب في خلال هذه المدة تتنازع كرسي الاسقفية الانطاكية تنازعاً غريباً . الى ان اتاح الله تعالى للبابا داماسيوس وخليفته ان يضعا حدًّا للمطامع البشرية ويرجعا الامور الى مجاريها[1] .

بعد ان قضي على البدعة الآريوسية في كنيسة انطاكية ، قامت بدعة نسطوريوس ، بطريرك القسطنطينية ، المعلّم ان في المسيح اقنومين ، وتبعه في تعليمه بعض اساقفة كنيسة انطاكية . الا ان المجمع الافسي[2] حرمه وقضى على بدعته . بيد ان هذه البدعة لم تنقض حينئذٍ الا لتقوم على انقاضها بدعة اخرى تدعي ان في المسيح طبيعة واحدة ، فحرمها المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ ، وكادت

١) ان التاريخ يعيد ذاته . فما حدث في كرسي انطاكية في الجيل الرابع قد تكرر حدوثه فيها مرارًا . انظر مقالة «تنازع الاسقفية في انطاكية» في المشرق (٢٦[١٩٢٨] ٦٠٨)

٢) من طالع اعمال هذا المجمع المؤلف من اساقفة الشرق خصوصاً رأى باجلى بيان سلطة البابا على الكنيسة جمعاء – اطلب المشرق (٢٩ [١٩٣١] ٩٣٦)

تنذر لو لم تجد في يعقوب البرادعي، اسقف الرها، مناصراً كبيراً، فتسنى لها ان تشيد بطريركية جديدة لقبت ببطريركية اليعاقبة وذلك سنة٥٤٣ . ومنذ ذلك الحين دعا اليعاقبة اتباع المجمع الخلقيدوني «الامبراطوريين لان البلاط الامبراطوري كان مناصراً له، ثم غلبت تسميتهم بالملكيين.

ولم يمضِ طويل زمان حتى نشأت بدعة اخرى تعلم ان في المسيح مشيئة واحدة. وهذه البدعة قد اضلت عدداً كبيراً من مسيحي الكرسي الانطاكي. وقد توصل الامبراطور هيراكليوس، مناصر هذه البدعة، الى ان يستميل اليها عدداً كبيراً من الرهبان. فانفصل هؤلاء عن البطريركية الانطاكية سنة ٦٨١، واصبحوا بذلك عرضة لاضطهاد اليعاقبة والملكيين معاً واضطروا ان يهربوا . فلبثوا على حالهم حتى عهد الصليبيين.

انفصال البطريركية الانطاكية عن رومة

بقيت رومة المرجع الاخير للاساقفة والبطاركة كما يظهر من رسائل القديس اغناطيوس الشهيد وغيرها، ومن تدخل البابا داماسيوس وخلفه في حل مسألة تنازع اسقفية انطاكية، ومن مجمع افسس وغيره، الى ان قام فوتيوس محاولاً اختلاس الكرسي القسطنطيني من يد بطريركه الشرعي القديس اغناطيوس سنة ٨٥٧ . وقد تزلف فوتيوس الى الحبر الاعظم حتى يثبته في البطريركية، وابدى كل خضوع في بدء الامر . الا ان البابا لم تخفَ عليه الحقيقة فرشقه بالحرم . فخلع اذ ذاك فوتيوس نير الطاعة وانفصل مع الامبراطور عن رومة.

غير ان المجمع المسكوني الثامن والقسطنطيني الرابع سنة ٨٦٩ اوقف الشقاق بحط فوتيوس عن كرسيه . ولم يزل البطاركة بعدئذ يرسلون صورة ايمانهم الى الحبر الاعظم، ويقيدون اسمه في الذبيحة، ويرفعون الدعاوى الى محكمته العالية حسب عادتهم القديمة . الى ان ارتقى الى الكرسي القسطنطيني ميخائيل كيرولاروس (١٠٤٣-١٠٥٨) فامر باغلاق كنائس اللاتين، وشهر انفصاله عن البابا. فاجتهد البطريرك الانطاكي بطرس الثالث في ارجاعه عن غيه، ولكن عبثاً.

اما البطريركية الانطاكية فقد بقيت خاضعة لرومة الى ان ارتقى اليها

حوالي سنة ١٠٥٧ تيودوسيوس الثالث المتحزب لكيرولاروس فلم يرسل للبابا صورة اعترافه . وكل البطاركة اليونانيين الذين خلفوه نهجوا نهجه . فيكون الانشقاق في الكنيسة الانطاكية قد بدأ ، والحالة هذه ، منذ سنة ١٠٥٧ ، غير انه لم يكن قانونياً وعلنياً كما في القسطنطينية ، ولا صورياً الا عند البطاركة اليوناني الاصل . اما البطاركة الوطنيون مع المؤمنين فقد بقي انشقاقهم مادياً زماناً طويلاً . ومما يجدر ذكره ان الشعب نفسه لا يمكن ان ننسب اليه الانشقاق ، فقد كان غريباً عما يحدث بين البطاركة ورومة . وبقاء الاتحاد او زواله كان منوطاً بارادة البطريرك وحده ، بحيث اذا انفصل جرّ معه كل بطريركيته الى شقاق لم يكن صورياً ومجرماً الا في البطريرك واساقفته .

الارتداد من عهد الصليبيين حتى الفتح العثماني

يظهر ان البطريرك داود اعتنق الكثلكة نحو سنة ١٢٤٨ ، ونال من البابا الاذن في الاقامة بمدينة انطاكية .

ثم لما كان الامبراطور ميشال الثامن الباليولوغ راغباً في الاتحاد رفع الى كرسي انطاكية تيودوسيوس الرابع لما انس فيه من الاستعداد لذلك . وهذا قد قبل فعلاً سنة ١٢٧٤ بالاتحاد المعمول عليه في مجمع ليون . غير ان هذا البطريرك استقال من البطريركية سنة ١٢٨٣ . ولما كان الاكليروس الشرقي يبغض الاكليروس الغربي بغضاً شديداً عاد فانفصل عنه .

ومضت اعوام فعاد الشرق والغرب الى الاتحاد سنة ١٤٣٩ في مجمع فلورنسة ، الذي ارسل اليه البطريرك دوروثاوس الاول معتمده . وقبلت تقارير هذا المجمع بفرح عظيم في سورية كلها . بيد ان ارسانيوس ، ميتروبوليت قيصارية كبادوكيا ، لتى على اثر ذلك لزيارة الاماكن المقدسة ، واقنع بطريرك اورشليم وبطريركي الاسكندرية وانطاكية بالاجتماع سنة ١٤٤٣ ، ونبذ تقارير مجمع فلورنسة . وهكذا فرق اعداء الاتحاد القلوب من جديد .

ولم يكن الاحبار الرومانيون ليتنطوا او يجفوا ابناءهم الشرقيين . فان البابا كاليكستوس الثالث سعى في عودة الشرق اليه ، كما ان البطريرك الانطاكي

مرقص الثالث اقتنع بذلك سنة ١٤٥٧ ، فجمع مجمعاً اقرّ فيه اعادة ذكر الحبر الاعظم في الذبيحة الالهية . وكذلك خليفته يواكيم الثاني فانه كتب الى البابا يعلمه بارتقائه الى البطريركية . واما نهاية هذا الاتحاد فـلا يعلم متى وكيف كانت . ولعلها ثمرة عدم متابعة الكتابات والملاقات ، وتـدخل الاكليروس اليوناني المتعصب ، ولاسيما بعد ان وضع يـده على بطريركية اورشليم سنـة ١٥٣٤ ، واخيراً الموقف العدائي الـذي وقفه الاتراك تجـاه مسيحيي اوربة ، وخصوصاً تجاه الاحبار الرومانيين ومقاومتهم كل اتحاد معهم[1] .

حركة الارتداد في القرنين السادس عشر والسابع عشر

ان القسم الثاني من القرن السادس عشر رأى حركة كبيرة نحو الاتحاد . فان البطريرك الماروني كان في بدنه قد جدّد اتحـاد شعبه مع الكرسي الرسولي . وكذلك الكاثوليكس النسطوري فانه قدم صورة ايمـانه الى الحبر الاعظم مؤسساً الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية .

وقد حدث في البطريركية الانطاكية الملكية شيء من هذا ، فـان البابا غريغوريوس الثالث عشر انتدب كاهناً مالطياً اسمه ليونار ابيلا ليسعى بالاتحاد ، فاجتمع هذا بالبطريرك ميخائيل السابع نحو سنة ١٥٩٣ . وبعد المباحثات وقع البطريرك صورة الايمان الكاثوليكي وارسل كتباً الى البابا يعده فيها ببذل كل ما في وسعه لاعادة الاتحاد . غير ان الموت لم يترك له السبيل لذلك[2] .

وبعد ذلك ببضع سنين تسنى للاب ليونار ان يقنع مـلاتيوس كرمة ، اسقف حلب ، بالاتحاد . فتقرب هذا الى رومة التي اوصت به المرسلين الذين كانوا يعملون على بثّ افكار الاتحاد[3] .

وفي سنة ١٦٣٤ ارتقى ملاتيوس كرمـة الى السدة البطريركية ودعي

١) اما الآن وقـد تقلصت سيطرة الاكليروس اليوناني عن بطريركية انطاكية ، واضمحلت دولة الاتراك التي كانت عاملة على تفريق الطوائف لتسود عليها ، فان الاتحـاد اصبح سهلاً على ذوي الارادة الصالحة .

٢) انظر مادة انطاكية في معجم تاريخ وجغرافية الكنيسة

٣) قدم اليسوعيون والكبوشيون الى حلب سنة ١٦٢٥ ، والكرمليون سنة ١٦٢٦ ،

افتيميوس الثاني، فاحضر معه الى دمشق احد المرسلين، الاب قيروط، وعهد اليه بالتبشير. غير ان هذا البطريرك مات سنة ١٦٣٥ قبل ان يتم الاتحاد بصفة قانونية. وقد ضاعت رومة مساعيها فوعد البطريرك مكاريوس الثالث زعيم بارسال صورة ايمانه مع اسقفين. وقد قام بوعده سنة ١٦٦٤. غير انه لم يجرأ ان يجاهر بذلك ويقاطع بطاركة الشرق الارثوذوكس، ومات سنة ١٦٧٢.

وكان له نسيب اسمه قسطنطين زعيم استمال اليه والي الشام واساقفة معلولا والزبداني وصيدنايا، فسيم بطريركاً وسمي كيرلس الخامس. اما سائر الاساقفة فقد اجتمعوا وساموا ناوفيطوس، مطران حماة، الذي رزح تحت الديون واستقال سنة ١٦٨٢. ولم يلبث كيرلس ان وجد منازعاً آخر في بروكوبيوس دباس الذي نال فرماناً بالبطريركية، وسامه ثلاثة اساقفة بطريركاً سنة ١٦٨٠ وسمي اثناسيوس الثالث، وقد نال بواسطة الفرنسيسكان تثبيت رومة بعد ان ارسل صورة ايمانه ١٦٩٨ هو ومكاريوس، مطران طرابلس، الذي هداه الكبوشيون.

وممن امتازوا وقتئذ بايمانهم الكاثوليكي بين الاساقفة وبغيرتهم المتقدة عليه افتيميوس الصيفي المولود في دمشق سنة ١٦٤٨، وهو ابن اخت البطريرك افتيميوس كرمة الذي كان قد عهد بتربيته الى الاب قيروط. فافتيميوس هذا الذي رقاه كيرلس الخامس سنة ١٦٨٣ الى كرسي صور استحق ان تعطيه رومة الولاية على جميع كاثوليك البطريركية في الاماكن التي لا اسقف كاثوليكي فيها. وفي ١٧٠١ اعترف بالايمان الكاثوليكي برثانيوس، اسقف بعلبك، وسلفسترس دهان، مطران بيروت، ونجحت مساعي الاتحاد نجاحاً باهراً ولاسيما في حلب والشام.

ازدواج الطغمة الكنسية في البطريركية الانطاكية الملكية (١٧٠١—١٧٢٤)

كان لا بد من اكليروس وطني منظم الشؤون لامكان توسيع نطاق الاتحاد وثباته. وهذا ما تم في تأسيس الرهبانية الشويرية في دير الصابغ، والرهبانية المخلصية قرب صيدا. وقد فهم مجمع انتشار الايمان ضرورة هذا الامر، فاجتهد في تكثير عدد الطالبين الاكليريكيين الملكيين في رومية، فمن هؤلاء الطلبة سارافيم طاناس، ابن اخت افتيميوس صيفي، سيم كاهناً سنة ١٧١١،

واخذ يبشر بالكثلكة . وكثر عدد الكاثوليك فبلغ في ابرشية افتيميوس ، على قوله ، خمسة عشر الفاً . ولم يكن يقل عن ذلك في حلب والشام.

وكان قنصل فرنسة في صيدا غيوراً على الكثلكة فاجتهد ان يردكيرلس الخامس ، وقد استدرجه الى ذلك رويداً رويداً . اخيراً ارسل كيرلس صورة ايمانه الى رومة مع طاناس ، هو وجراسيموس مطران صيدنايا سنة ١٧١٦ . وبناء على ذلك اقرت رومة تثبيت كيرلس بطريركاً . الا ان المسئلة لم تكن انتهت بعد حتى عاجلت بوفاته سنة ١٧٢٠[١] . حينئذٍ استلم زمام البطريركية اثناسيوس الثالث الذي بقي متقلباً بين الارثوذكسية والكثلكة حتى وفاته سنة ١٧٢٤ . ويقال انه عمل صورة ايمانه الكاثوليكي على سرير النزاع[٢] .

ان افتيميوس الصيفي لم يتسنَّ له تبوّ العرش البطريركي ، لانه بسبب اندفاعه الشديد وتغييره بعض الطقوس اهاج الرأي العام عليه . فالحزب الكاثوليكي في الشام بادر الى تسمية بطريرك قبل تدخل الفنار ، فانتخبوا في ايلول سنة ١٧٢٤ سارافيم طاناس ابن اخت المطران افتيميوس صيفي ، ودعوا مطران صيدنايا ناوفيطوس نصري ، وباسيليوس فينان ، اسقف بانياس ، فساموا افتيميوس فضل المخلصي اسقفاً لزحلة ، وثلاثتهم رقوا الى البطريركية سارافيم طاناس الذي سمي كيرلس السادس (عن سجل الرهبانية الشويرية) . فلما بلغ ذلك بطريرك القسطنطينية جمع مجمع اساقفته فساموا بطريركاً شماس البطريرك المتوفى واسمه سلفستروس ، واخذوا له براءة سلطانية . وارفقه البطريرك ارميا الثالث بصورة الحرم والحط لكيرلس طاناس . ومذ ذاك الوقت تميزت البطريركيتان الكاثوليكية والارثوذكسية .

١) جاء في سجل الرهبانية الحلبية ان « السيد البطريرك كيرلس الانطاكي الحلبي كان يتبع الايمان الكاثوليكي . » وفي محل آخر : ٦٥ ك٢ سنة ١٧٢٠ رقد بالرب البطريرك كيرلس وتوفي كاثوليكياً مثبتاً من الحبر الاعظم »

٢) جاء عنه في سجل الرهبانية الشويرية انه لما زار دير الصابغ سنة ١٧٣٠ ، خلا بالخوري مكسيموس والخوري نقولا . . . ثم تقلهم بان لا يظهروا شيئاً مما يقتضي الايمان الكاثوليكي فاجابوا بشجاعة ضد قوله . » وفي اماكن اخرى اشارة الى « اعمال كثيرة خبيثة » فعلها اثناسيوس ضد الكاثوليكيين « وجه سهم اضطهاده للكاثوليكيين بعد عودته من المجمع القسطنطيني . . . هرب زاخر من وجه اثناسيوس . . . » (للكلام صلة)

ابن عبد ربه و « عقده »

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبّور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٧

قيمة العقد التاريخية (تابع)

نظره الى تاريخ الاندلس واقتصاره على قدر ضئيل منه

ذكرنا غير مرة ان اخبار ابن عبد ربه عن الاندلس قليلة الاهمية . ولعلّ الصاحب بن عباد قد انصف العقد، عندما طلبه وقرأه وقال : « هذه بضاعتنا ردّت الينا . ظننت ان هذا الكتاب يشتمل على شيء من اخبار بلادهم ، وانما هو مشتمل على اخبار بلادنا . لا حاجة لنا فيه . »[1]

وغريب جدًّا ان يسكت ابن عبد ربه عن تصوير بعض النواحي من الحياة الاجتماعية والادبية في قرطبة زمنئذٍ ، وبالاخص في بلاط الامراء ، فلا يذكر الا اسماء امراء الاندلس من عبد الرحمن الداخل الى عبد الرحمن الناصر مع شيء قليل من ترجمات حياتهم . غير انه قد ترك لنا في عقده ارجوزة تاريخية في الانتصارات التي احرزها الخليفة عبدالرحمن الناصر على اعدائه في الاندلس ضمّت ٤٤٤ بيتاً تكاد تكون من اقدم الاشعار العربية في الملاحم . ولقد وضعها على الطريقة التوقيتية بحيث ذكر فيها اخبار الغزوات سنة فسنة ، مبتدئاً من سنة ٣٠٠ وانتهى بها الى سنة ٣٢٢ ، اي قبل موته بست سنوات . وقد حاولنا

---

١) ياقوت ٢ : ٦٧ – وراجع القرآن ١٢ [يوسف] ٦٥ « ... قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ... »

تعليل سكوته عن هذه الست سنوات عند بحثنا عن حياته. فليراجع هذا الامر هناك ، غير انه فاتنا ان نشير الى اننا عثرنا في العقد على ما يفيد ان ابن عبد ربه نفسه اوقف الارجوزة عند سنة ٣٢٢[1] فليتنبه الى هذا.

وللارجوزة ابن عبد ربه قيمة تاريخية ثمينة من حيث ذكر الوقائع وزمن حدوثها والاماكن ، واسماء كثير من القواد الذين اشتركوا فيها من جانب العرب، واسماء كثير من المدن والحصون التي سقطت بايديهم في السنوات المذكورة ، مع ذكر زمن موت بعض القواد وربما اتى في الارجوزة على بعض الاخبار التي تهم المؤرخين للزمن الذي سبق وقائع الناصر ، كأن يقول مثلاً في خبر سقوط طليطلة سنة ٣٢٠

فاذعنت وقبلها لم تذعن ولم تقد من نفسها وتمكن
ولم تدن لربها بدين ، سبعاً وسبعين من السنين (٢

وتظهر الارجوزة وجهة نظر ابن عبد ربه كمسلم يؤرخ وقائع الناصر ، وموقفه ازاء اعداء الخليفة الاندلسيين لاسيما النصارى منهم . وسنعرض لهذا الامر بمناسبة اخرى.

نزعته المغربية

ولئن كان هؤلاء العرب ومواليهم في المغرب يقلدون المشارقة في نهضتهم ويحذون حذوهم في علومهم وآدابهم ، فقد كانوا بالوقت نفسه يتعصبون لاقليمهم واهليه ، ويحاولون في بعض الاحيان اظهار ان ما عندهم من علم وادب لا يقل عما عند المشارقة ، ونرى هذه الظاهرة قوية في كتاب المقري « نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب . . . » حيث خصصت الفصول الطوال لتبيان مفاخر رجال الاندلس ، اذا قوبلوا باهل المشرق ، وذكر انهم لا يقلون عنهم من مختلف الوجوه.

اما ابن عبد ربه فيختلف عن هؤلاء المؤلفين المغاربة في امر اظهار هذه

١) ابن عبد ربه ٢ : ٣٦٣
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٣٧٦

النزعة . ولعلها لم تكن قوية في نفوس رجال العلم ، زمن ابن عبد ربه ، بينما نراها على اشدها في العصور التي تلته . زد على ذلك ان ابن عبد ربه لم يكتب كثيراً عن الاندلس وتاريخها ورجالها من علماء وادباء وشعراء . فمن الطبيعي اذاً ان يصعب علينا معرفة قوة هذه النزعة في نفسه ، وبالتالي درس اثرها في عقده . ومها يكن من ذلك فانا نرى ان ابن عبد ربه قد اظهر شيئاً من هذه النزعة في مقدمة عقده حيث قال :

« وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار في معانيها وتوافقه في مذاهبها وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور . »[1]

ونراه في كثير من المواضع في عقده ، اذا ذكر شعراً لاحد المشارقة ، اتبعه بشعر له كأن يقول مثلاً : « قال ابو زبيد في وصف الاسد » الخ . ثم يقول : « ومن قولنا في وصف الاسد ما هو اشبه به من هذا » الخ .[2] كذلك يذكر معارضته لصريع الغواني في قصيدته :

« ادبرا عليّ الراح لا تشربا قبلي »

ويروي ابياته التي قالها على رويها :

« أتقتلني ظلماً وتجحدني قتلي »

ثم يعقبها بقوله :

« فمن نظر الى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه لم يفضل شعر صريع عنده الا بفضل التقدم ولاسيا اذا قرن قوله في هذا الشعر :

كشفت الذي القى من الحب عاذلي فلم يدر ما بي فاسترحت من العذل

بقولي في هذا الشعر :

واحببت فيها العذل حباً لذكرها فلا شيء اشهى في فؤادي من العذل . »[3]

ويذكر اشعاراً للعباس بن الاحنف ، ولجميل بن معمر ، ولعمر بن ابي ربيعة ، « في رقة التشبيب » ، ثم يعقبها بشعر له يقدم له بقوله : « ومن قولنا في رقة التشبيب والشعر المطبوع الذي ليس بدون ما تقدم ذكره . »[4] ويقول في موضع

١) ابن عبد ربه ١ : ٣ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٦٣
٣) » » ٣ : ١٧٥ ٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٤

آخر: «اعلم بانك متى نظرت بعين الانصاف وقطعت بحجة العقل علمت ان لكل ذي فضل فضله ولا ينفع المتقدم تقدمه ولا يضر المتأخر تأخره.»[١] وله شعر يفخر به على شعراء المشرق:

«هنا تغنى قوافي الشعر في هذا الرويّ
قواف البست حليًا من الحسن البـديّ
تعالت عن جرير، بل زهير، بل عديّ.»[٢]

وله ايضاً في آخر قصيدة:

«هذه جملة امثال فمن شاء فيحكي
ابطلت كل يمانيّ م وشاميّ ومكيّ»[٣]

ونرى ان اكثر هذه الامثلة تفسّر ايضاً على اساس النزعة الشخصية. انما يجوز ايضاً ان يشتمّ منها شيء من النزعة الاقليمية.

ونرى ان ابن عبد ربه، عند ذكره ترجمة الامراء الاندلسيين الذين تولوا الحكم حتى زمانه، يجزل لهم المدح ويورد عنهم اخبارًا في تبيان مفاخرهم. وقد ذكر خبر مدح ابي جعفر المنصور عبد الرحمن الداخل، وتسميته اياه بصقر قريش، وتفضيله اياه على معاوية وعبد الملك[٤]. ويذكر احدى غزوات الناصر المعروفة بغزاة المتلون التي افتتح فيها حصون كثيرة فيقول: «ولم يكن مثل هذه الغزاة للملك من الملوك في الجاهلية والاسلام.»[٥] كذلك يذكر جوده ويقول: «لم يعرف لاحد من الجاهلية والاسلام الا له وقد ذكرت ذلك في شعري الذي اقول فيه:

يا ابن الخلائف والعلى للمعتلي	والجود يعرف فضله للمفضل
نوّهت بالخلفاء بل اخملتهم	حتى كأن نبيلهم لم ينبل
اذكرت، بل انسيت ما ذكرالاولى	من فعلهم، فكأنه لم يفعل
واتيت آخرهم، وشأوك فائت	للآخرين، ومدرك للاول.
الآن سمّيت الخلافة باسمها	كالبدر يقرن بالسماك الاعزل
تأبى فعالك ان تقرّ لآخر	منهم،وجودك ان يكون لاول[٦]

---

١) ابن عبد ربه ٣: ١٧١
٢) ابن عبد ربه ٣: ٢٢٨
٣) « « ١: ٢٠٧
٤) « « ٢: ٢٥٧
٥) « « ٢: ٢٦٣
٦) « « ٢: ٢٦٣

ولا يد لي من الاشارة الى ان هـذه النزعة ــ ان ثبت ان في نفس ابن عبد ربه شيئاً منها ــ ليست من الاهمية كما أسلفنا ، حيث ان ابن عبد ربه لم يُعنَ كثيرًا في تدوين اخبار بلاده ، بل ان هناك مَن حسبه مقصرًا من هذه الناحية . كتب ابو علي الحسن التميمي القيرواني الى ابن حزم يـذكر تقصير اهل الاندلس في تخليد اخبار علمائهم ومآثر فضلائهم وسير ملوكهم . ثم أتى على ذكر ابن عبد ربه وعقده فقال : «على انه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيما اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه . اكثر الحزّ واخطأ المفصل واطال الهز لسيف غير مقصل ، وقعد به ما قعد باصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم .»[1]

نظرة كمسلم الى النصارى في الاندلس

ونتبين هذا من الاخبار القليلة التي دوّنها في عقده عن الانـدلس وتاريخ الامراء والخليفة عبد الرحمن الناصر الذي عاصره فيها ، ومن ارجوزته التاريخية في ذكر وقائع الخليفة المذكور . ويظهر من هذين المصدرين ان ابن عبد ربه كان شديد الحملة على النصارى ، اعداء المسلمين في الاندلس ، ينعتهم تارة باهل الشرك والكفرة والاعلاج ، وطورًا بالشياطين والكلاب والخنازير . ومن الخير ان ندلّ على ذاك بامثلة معينة . قال في ترجمة الامير محمد : « وكان الامير محمد غزاءً لاهل الشرك والخلاف .»[2] وقال في ترجمة الامير المنذر بن محمد : «ثم غزا الى المارق الموتر عمرو[3] بن حفصون . . . فلم يجد الفاسق منفذًا ولا متنفسًا .» وقال في موضع آخر :«فلما رأى الفاسق الفرصة انتهزها .»[4] ونرى هذه النعوت كثيرة في ارجوزته وشعره اللذين يمدح الناصر فيهما ويذكر انتصاراته :

---

١) المقري ٢ : ٧٦٧ ، وطبعة اوربة II : ١٠٩

٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٠

٣) كذا في طبعة بولاق ، ولعلّ «الموتر» تصحيف «المرتد» راجع الطبعة الازهرية ٣ : ٢٠٦ ؛ اما عمرو فصوابها : عمر

٤) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦١

مات النفاق واعطى الكفر ذمته ، وذلّت الخيل الجامحاً وأسراجا.
ادخلت في قبّة الاسلام مارقة اخرجتها من ديار الشرك اخراجا.
غادرت في عفرتي جيّان ملحمة ابكيت منها بأرض الشرك اعلاجا. (١

وقال ايضاً :

ومن اباد الكفر والنفاقا ، وشرّد الفتنة والشقاقا.

وقال في خبر اول غزاة :

ولم يزل حتى انتحى جبّانا ، فلم يدع بارضها شيطانا.
ولم يدع ريبة والجزيرة ، حتى كوى اكلبها الهريره
فايقن الخنزير ، عند ذاك ، ان لا بقاء يرتجى هناك. (٣

وقال في خبر غزاة سنة ٣٠٦ :

ثم اقاد الله من اعدائه واحكم النصر لاوليائه.

الى ان يقول عن الناصر ويسميه بالامام :

ان احتمى للواحد القهار وفاض من غيظ على الكفار (٤

ويقول في خبر الغزاة نفسها عن اعداء الخليفة :

فاقبل العلج لهم مغيثا ، يوم الخميس ، مسرعاً حثيثا ،
بين يديه الرجل والفوارس وحوله الصلبان والنواقس.

ثم يقول :

ففاز حزب الله بالعلجان ، وانهزمت بطانة الشيطان.

ثم يذكر خبر قائدين من جيش النصارى ، ويرتكب خطأً فاحشاً في زعمه انهما اقسما بآلهة وثنية :

خاقا بالجبت والطاغوت لا جزما دون لقاء الموت. (٥

ولعله كان يعلم ان النصارى لا تقسم بها ، انما قصد ذكر هذا تحقيراً لهما ولدينهما.

ويقول في خبر غزاة بلده :

فاذعنت ولم تكن مذعنه ، واسلمت كافره لمؤمنه.
فقدت كفارها للسيف ، وقتلوا بالحق لا بالحيف. (٦

---

١) ابن عبد ربه ٢ : ٣٦٣ ٢) ابن عبد ربه ٢ : ٣٦٤
٣) ابن عبد ربه ٢ : ٣٦٦ ٤) 〃 〃 ٢ : ٣٦٧
٥) 〃 〃 ٢ : ٣٦٨ ٦) 〃 〃 ٢ : ٣٦٩

ويستمر على هذا النحو من الكلام في كثير من المواضع في ارجوزته ، حتى يقول في غزوة سنة ٣١٢ وفتح ينباونه :

فكم بها وحولها من اغلفِ جثى عليه دمع عين الاسقفِ !
وكم بها مزاه من كنائس بدّلت الاذان بالنواقس !
يبكي لها الناقوس والصليبُ كلاهما فرض له النحيبُ . (١

ويقول في موضع آخر :

عصابة من شيعة الشيطانِ ، عدوة لله والسلطانِ ،
فجزرت اجسادها تجزما واصليت ارواحها جهنما . (٢

ويقول في غزوة سنة ٣٢٠ :

سيرا الى المدينة اللعينه اتمها الرحمن من مدينه !
مدينة الشقاق والنفاق ، ومربد الفساق والمراق . (٣

وينتهي من ارجوزته بقوله :

ثم ثنى الامام من عنانه ، وقد شفى الشجيّ من اشجانه .
وامن القفار من ابناسها ، وطهّر البلاد من ارجاسها . (٤

نظره كمولى للعرب

في العقد كتاب هو « اليتيمة في النسب وفضائل العرب » ذكر فيه ابن عبد ربه نسب قبائل العرب ، واورد باباً في فضلها أتى فيه على اقوال كثير من الناس من عرب وموال ، وقد كادوا يجمعون على الشهادة بفضل العرب . وبعد ان يفرغ ابن عبد ربه من ذكر انساب العرب من شماليين وجنوبيين ، يدوّن رأي الشعوبية — اهل التسوية — وحججهم في انهم متساوون مع العرب ، واستنادهم الى احاديث نبوية يقرنونها الى آيات من القرآن في معناها . قال :

« ومن حجة الشعوبية على العرب ان قالت انا ذهبنا الى العدل والتسوية وان الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد واحتججنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام : « المؤمنون اخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يدٌ على من سواهم . » وقوله في حجة

١) ابن عبد ربه ٢ : ٢٧٢ ٢) ابن عبد ربه ٢ : ٢٧٥
٣) 〃 〃 ٢ : ٢٧٦ ٤) 〃 〃 ٢ : ٢٧٨

لوداع ، وهي خطبته التي ودّع فيها امّته وختم نبوّته : « ايها الناس ان الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء ، كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي على عجمي فضلٌ الا بالتقوى . » وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافق لقول الله تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (١ فاينم الا فخرًا وقلتم لا تساوينا . » (٢

ثم يعقب ابن عبد ربه هذه الاحاديث وما يوافقها من القرآن باقوال الشعوبية في تبيان مآثرهم ومفاخرهم وعلومهم وذمهم للعرب . ثم يعود فيورد ردّ ابن قتيبة عليهم ، ويعقبه بردّ الشعوبية على ابن قتيبة[٣] . ولا يفوته ان يرمي دلوه بين الدلاء فيقول :

« وما رأيت اعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب انه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية فنقض في آخره كل ما بنى في اوله ، فقال في آخر كلامه واعدل القول عندي ان الناس كلهم لاب وام خلقوا من تراب واعيدوا الى التراب . . . فهذا نسبهم الاعلى الذي يردع به اهل المقول عن التعظيم والكبرياء والفخر بالآباء . ثم الى الله مرجعهم فتقطع الانساب وتبطل الاحساب ، الا من كان حسبه التقوى او كانت مادته طاعة الله . » (٤

ولم نرَ في كل ما اورد ابن عبد ربه في باب الشعوبية (اهل التسوية) واقوالهم ، وردّ ابن قتيبة عليهم وتعليقه عليه ، ما يبين شيئًا صريحًا من وجهة نظر ابن عبد ربه في الامر . ولا نستطيع الجزم فيه هو انه ينقد مناقضة ابن قتيبة نفسه في مسألة تفضيل العرب على سواهم ليس الا .

ويذكر ابن عبد ربه فصلًا في الكتاب نفسه في المتعصّبين للعرب اتى في آخره على قصة لا بأس في ان نوردها هنا ، لعلّ فيها ما يشير الى شيء من هذه الناحية في نفس ابن عبد ربه ، قال :

«قال ابن ابي ليلى : قال لي عيسى بن موسى ، وكان ديانًا شديد العصبية : من كان فقيه البصرة؟ قلت : الحسن بن ابي الحسن ، قال : ثم من؟ قلت : محمد بن سيرين ، قال : فما هما؟ قلت : موليان .

---

١) القرآن : ٤٩ [الحجرات] ١٣ « يا أيُّها النَّاس انّا خَلَقنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنثَى وجَعَلنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا ان أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتقَاكُم إنَّ اللهَ عَليمٌ خَبيرٌ . »

٢) ابن عبد ربه ٢ : ٨٥

٣) ابن عبد ربه ٢ : ٨٥–٨٦

٤) ابن عبد ربه ٢ : ٨٦–٩٠

قال: فمن كان فقيه مكة؟ قلت: عطاء بن ابي رباح، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وسليمان بن يسار. قال: فما هؤلاء؟ قلت: موال! قال: فمن فقهاء المدينة؟ قلت: زيد بن أسلم، ومحمد بن المنكدر، ونافع بن أبي نجيح. قال: فما هؤلاء؟ قلت: موال! فتغيّر لونه، ثم قال: فمن أفقه اهل قباء؟ قلت ربيعة الرأي، وابن ابي الزناد! قال: فما كانا؟ قلت: من الموالي! فاربدّ وجهه، ثم قال: فمن كان فقيه اليمن؟ قلت: طاوس، وابنه، وابن منبه! قال: فما هؤلاء؟ قلت: من الموالي! فانتفخت اوداجه فانتصب قاعدًا! قال: فمن كان فقيه خراسان؟ قلت: عطاء بن عبدالله الخراساني! قال: فما كان عطاء هذا؟ قلت: مولى! فازداد وجهه تربّدًا واسودّ اسودادًا حتى خفته. ثم قال: فمن كان فقيه اهل الشام؟ قلت: مكحول! قال: فما كان مكحول هذا؟ قلت: مولى! قال فتنفس الصعداء. ثم قال: فمن كان فقيه الكوفة؟ (قال) فوالله لولا خوفه لقلت الحكم بن عتيبة وعمّار بن ابي سليمان، ولكن رايت فيه الشرّ فقلت ابرهيم، والشعبي! قال: فما كانا؟ قلت عربيّان! قال: الله أكبر! وسكن جأشه.» (١

ويختم ابن عبد ربه كتابه هذا في النسب بخبر عن اعرابي دخل على سوار القاضي فقال:

«ان ابي مات وتركني وأخًا لي، وخطّ خطّين؛ ثم قال: وهجينًا، ثم خطّ خطًّا ناحية، فكيف يقسم المال؟ فقال له سوار: ههنا وارث غيركم؟ قال: لا! قال: فالمال بينكم اثلاثًا! فقال: ما احسبك فهمت عني؛ انه تركني واخي وهجينًا فكيف يأخذ الهجين كما آخذ انا وكما يأخذ اخي! قال: أجل! فغضب الاعرابي» (٢

وروى في كتاب الياقوتة في العلم والادب قال:

«قال الحسن: حدثني ابي قال أمر الحجاج ان لا يؤمّ بالكوفة الا عربي. وكان يحيى بن وثاب يؤمّ قومه بني اسد، وهو مولى لهم، فقالوا: اعتزل. فقال ليس عن مثلي نهي، انا لاحقٌ بالعرب. فأبوا. فاتى الحجاج، فقرأ. فقال: من هذا؟ فقالوا: يحيى بن وثاب. قال: ما له؟ قال: امرت ان لا يؤمّ الّا عربيّ فنحاه قومه. فقال: ليس عن مثل هذا نهيت، يصلي بهم. (قال) فصلى بهم الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، ثم قال: اطلبوا اماماً غيري انما اردت ان لا تستذلوني. فاما اذا صار الامر اليّ فانا لا اؤمكم، لا ولا كرامة.» (٣

ومع انه قد يشتم شيء من ميل ابن عبد ربه الى تسوية المولى بالعربي فانا لا نستطيع ان نجزم بالامر، لاسيا وان ابن عبد ربه في اكثر هذه المواضع ناقل راو ليس الا. ولعلّ نظر العرب في الاندلس كان يختلف عن نظر العرب في المشرق الى الموالي، من حيث المنزلة في الهيئة الاجتماعية.

١) ابن عبد ربه ٢: ٦١ ٢) ابن عبد ربه ٢: ٦٣

٣) 〃 〃 ١: ٢٠٧

بعض نواحي خلقه وأثرها في العقد

عدم استنكافه عن ذكر بذيء اللفظ وسافل المعنى

وربما من الخير ان نشير هنا الى ما المحنا اليه ، عند بحثنا عن حياة ابن عبد ربه ، من امر وصف خلقه من بعض النواحي . اورد المقري قصة عن ابن عبد ربه وابي محمد يحيى القلفاط الشاعر ، اتى بها شاهداً على سرعة جواب اهل الاندلس نسكت عن ذكرها لما فيها من بذيء اللفظ يبديه كل من ابن عبد ربه وصاحبه هذا الذي كان يناظره . ويظهر من هذه القصة ان ابن عبد ربه لم يكن جميل الوجه والقامة ، بل كان آدر يدرم في مشيه ، فاتحاً بين ساقيه ، وكان اطلس اللحية ؛ وان القلفاط هزأ به ، ووصفه بصفة نسكت عن ذكرها. فاجابه ابن عبد ربه بما هو اقذع وامرّ . وفسد ما كان بينهما من روابط الصداقة والمحبة ، فصنع القلفاط قصيدةً في هجائه اولها :

يا عرس احمد اني مزمعٌ سفرا فودّعيني سرًّا من ابي عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك . واتفق اجتماعهما عند بعض الوزراء . فسأل عن حالهما فبدأ القلفاط مرتجلاً في هجو صاحبه ، وما ان اكمل البيت الاول حتى بدره ابن عبد ربه ببيت قاله مرتجلاً ايضاً على البحر والقافية ذاتها ، وهو غاية القصة صبَّ فيه جام هجوه مرًّا اقذعَ اشدَّ الاقذاع ، وابدى اسفل معنى . فانقطع القلفاط خجلا[1] .

وترى اثر هذه الناحية من خلق ابن عبد ربه في عدم استنكافه عن ايراد الاخبار في عقده مما يغلب فيها بذيء اللفظ وسافل المعنى . وليس بلائق ان تذكر هنا هذه القصص ، فليراجع بعضها في مواضعها التالية[2]

ميله للتعرض للغير

ولعلّ القارئ قد لمس شيئاً من ميل ابن عبد ربه للتعرّض لكثير من

---

١) المقري ٢ : ٨٣٢-٨٣٣

٢) ابن عبد ربه ٣ : ١١٩و١٢٠و١٢١و١٥٦ ؛ و٣ : ٢٠٣و٢٠٤و٢٠٥و٤٢٥و٤٣٠و٤٣٤ و٤٣٥

الذين اخذ عنهم بشيء من الانتقاد . فلقد اخذ عن ابن قتيبة كثيراً مما كتبه في مؤلفاته ونقله الى عقده. غير انه لم يفته ان ينتقده وينعى عليه بعض مواقفه كأن يقول مثلاً: « ولم أرَ اعجب من ابن قتيبة في كتابه تفضيل العرب انه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب . ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية فنقض في آخره كلّ ما بنى في اوله.»[1] كذلك انتقد رأي ابن قتيبة في الاشربة وعنون انتقاده هذا بقوله : « مناقضة ابن قتيبة في الاشربة.» ثم ذكر ما يراه ابن قتيبة في الامر ، وردّ عليه بقوله : « وهذا الشاهد الذي استشهد به (يعني ابن قتيبة) ... شاهد عليه لا شاهد له لان الناس... الخ»[2] وردّ عليه في موضع آخر في الباب نفسه[3] . وعارضه في موضع آخر ، قال: «قال ابن قتيبة لم يقل في التواضع بيت ابدع من قول الشاعر في بعض خلفاء بني امية[4]

يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلّم الا حين يبتسم

واحسن منه عندي...»[5]

وتعرّض للمبرّد عند ذكره بعض ما اخذه عنه ، وذمّه ، وندّد بما جمعه في الروضة وهزأ به ، وقال :

« ان المبرّد لم يختر لكل شاعر الا ابرد ما وجد له حتى انتهى الى الحسن بن هاني ، وقلما يأتي له بيت ضعيف لرقة فطنته وسبوطة بنيته وعذوبة الفاظه ، فاستخرج له من البرد ابياتاً ما سمعناها ولا رويناها ولا ندري من اين وقع عليها . . . وجلّ اشعاره الخمريات بديعة لا نظير لها فحظر جا كلها وتخطّاها الى التي جانسته في برده فما احسبه لحقه هذا الاسم المبرّد الا لبرده. وقد تخير لابي العتاهية اشعاراً تقتل من بردها وشنعها وقرظها بكلامه فقال ومن شعر ابي العتاهية المستظرف عند الظرفاء المخيَّر عند الخلفاء قوله:

يا قرة العين كيف اصبحت اعزز علينا بما تشكيت

وقوله :

آه من وجدي وكربي آه من لوعة حبي

١) ابن عبد ربه ٢: ٨٩ ٢) ابن عبد ربه ٣: ٤٠٩

٣) « « ٣: ٤٠٩

٤) المشهور ان هذا البيت من قصيدة للفرزدق في الامام زين العابدين . والغريب ان ابن عبد ربه لم يلتفت الى هذا الامر ولم ينتقد ابن قتيبة فيه

٥) ابن عبد ربه ١: ١٥

ما اشدّ الحبّ يا سبحانك اللهم ربّي.[١]

وانتقد سيبويه في استشهاده ببيتين في كتابه اورد قافيتيهما منصوبتين وخطّأه. ثم قال في آخر كلامه: «فما كان يضطر سيبويه ان ينصبهما ويحتال على اعرابهما بهذه الحيلة الضعيفة.»[٢] وخطأ المبرّد ايضاً في شرحه امرًا بالموضع نفسه.

ولقد تعرّض ايضاً لكثير من الاشخاص الذين اورد بعض الاخبار عنهم. وقد قال في الامرأة التي شككت في صلاح عروة بن اذينة: «كذبت عدوة الله. عليها لعنة الله. بل لم يكن مرائياً ولكنه كان مصدورًا فنفث.»[٣]

كذلك نراه عند ذكره خبر مسير مسلم بن عقبة المرّي الى المدينة، ودخوله اليها، وتغلّبه على اهلها، يقول في آخر هذا الخبر «ومات مسلم بن عقبة، لا رحمه الله. ومضى حصين بن نمير بجيشه ذلك فلم يزل محاصرًا لاهل مكة حتى مات يزيد لا رحمه الله.»[٤]

وتعرّض للمختار فقال عنه: «ولم يكن صادق النيّة ولا صحيح المذهب. وانما اراد ان يستأصل الناس فلما ادرك بغيته، اظهر للناس قبح نيّته.»[٥]

ولولعه بالتعرّض والنقد اكثر من الروايات التي فيها ذكرٌ لما أُخذ على الشعراء من الاخطاء، وافرد لها باباً خاصاً[٦]. ووضع باباً آخر لما غلط فيه على الشعراء.[٧] وانتقد فيه هؤلاء الذين لم ينصفوا الشعراء بقوله «واكثر ما ادرك على الشعراء له مجاز وتوجيه حسن. ولكنّ اصحاب اللغة لا ينصفونهم وربما غلطوا عليهم وتأولوا غير معانيهم التي ذهبوا اليها.»[٨]

وافرد باباً للرقائق من الشعر لم يفته ان يستهلّه بالتعرّض لاكثر الناس قال: «وقد جبل اكثر الناس على سوء الاختيار وقلة التحصيل، مع لوم الغرائز وضعف الهمم. وقلّ من يختار من الصنائع ارفعها ويطلب من العلوم انفعها.»[٩]

١) ابن عبد ربه ٣: ٢٦٨
٢) ابن عبد ربه ٣: ١٧١
٣) « « ٣: ١٢٦
٤) « « ٢: ٣١٣
٥) « « ٢: ٣١٩
٦) « « ٣: ١٠٠–١٦٣
٧) « « ٣: ١٧١
٨) « « ٣: ١٧١
٩) « « ٣: ٢٦٨

وذكر في الباب نفسه — ومن الخير ان نشير الى انه سمّى الباب باباً من الرقائق ، وهو بالواقع انتقاد الذين ما فرقوا بنظره بين الرقائق من الشعر وضعيفه ، اورد في الباب نفسه — نكرّر القول — ما يشفّ عن طبعه هذا الذي نصف ، قال :

« ونظير هذا من سوء الاختيار ما تخيّره اهل الحذق بالغناء والصانعون للالحان من الشعر القديم والحديث ، فانهم تركوا منه الذي هو ارقّ من الماء واصفى من رقة الهواء وكل مدنيّ رقيق قد غذّي بماء العقيق وغنّوا بقول الشاعر :

فلا انسى حياتي ، ما عبدت الله لي ربّاً ،
وقلت لها : ابليني فقالت: تعرف الذنبا ،
ولو تعلم ما بي لم ترَ الذنب ولا العتبا.

واقل ما كان يجب في هذا الشعر ان يضرب قائله خمسمائة ، وصانعه اربعمائة ، والمغني به ثلثمائة ، والمصغي اليه مائتين . » (١

ويرى القارئ ايضاً باباً آخر في العقد عنونه المؤلف بـ «ما يعاب من الشعر وليس بعيب » (٢ وذكر فيه اخباراً كثيرة من هذا النوع انتقد فيها الذين عابوا هذه الاشعار ، منها ما يشفّ ايضاً عن طبعه هذا وولعه بالانتقاد قال :

« ومما عيب من الشعر (٣ وليس بعيب ما يروى عن مروان بن الحكم انه قال لخالد ابن يزيد بن معاوية وقد استنشده من شعره فانشده :

فلو بقيت خلائف آل حرب ولم يلبسهم الدهر المنونا
لاصبح ماء اهل الارض عذباً واصبح لحم دنياهم سمينا

فقال له مروان : منونا وسمينا والله انها القافية ما اضطرك اليها الا العجز . وهذا عمّا لا عجز فيه ولا عابه احد في قوافي الشعر . وما ارى العيب فيه الا على من رآه عيباً . » (٤

وان القارئ يشعر بروح ابن عبد ربه هذه في كل تعليق يعلّقه على اخبار هذا الباب . وتعرض ايضاً لابي النجم الراجز وخطأه في موضع في وصف الخيل (٥ وخطأ رؤبة ايضاً في الموضع نفسه (١ : ٦٤) وتعرّض لكثير من هؤلاء الذين أوّلوا بعض آيات القرآن على ما لا يروق له فخطأهم في التأويل . (٦ وكذلك تراه

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٦١ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٤٤
٣) كذا ، ولعلّها « من الشعر » ٤) « « ٣ : ١٤٥
٥) ابن عبد ربه ١ : ٦٤ ٦) « « ٣ : ٢٢٣

في تعليقه على كثير من الاخبار التي اوردها في كتاب الياقوتة الثانية في الالحان مما يتعلق بأمر اختلاف الناس في الغناء[١].

ويظهر ان ابن عبد ربه كان مولعاً بوجه عام في المعارضة سواء أكان فيها انتقاد ام لم يكن . وقد كان في كثير من شعره الذي ذكره في العقد معارضاً لشعراء تقدموه فترى مثلاً « ومما عارضت به صريع الغواني في قوله ... »[٢] او « ومن قولنا في رقة التشبيب والشعر المطبوع الذي ليس بدون ما تقدم ذكره »[٣] ، او يذكر ابياتاً لاحد الشعراء في وصف البين ثم يعقبها بقوله « ومن قولنا في البين »[٤] او يذكر ابياتاً في قول العرب في الحمام يتبعها بشعره في الموضوع نفسه .[٥] ولقد ذكر في هذا الباب ــ باب مقاطع الشعر ومخارجه ــ كثيراً من شعر القدماء في مواضيع متعددة ، دون ان يهمل القاء دلوه وذكر شعره في كل من هذه المواضيع دون استثناء[٦] . ولعل القارئ لا يزال يذكر ان كتاب ابن عبد ربه العقد نفسه لولا قليل لكان معارضة لكتاب ابن قتيبة « عيون الاخبار » . ولم يفت ابن عبد ربه ان ينتقد بعض كتب المؤلفين التي رجع اليها في مقدمة عقده حيث قال :

« وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة في فنون الاخبار ولا جامعة لجمل الآثار فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لاكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصة وتدور على السنة الملوك والسوقة . »[٧]

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٠و٢٢١و٢٢٢ ٢) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٥

٣) « « ٣ : ١٧٤ – وراجع بهذه المناسبة ابن عبد ربه ١ : ٢٥،٢٠،٢٦،٤٢،٤٢، ٦٠،٦٦،٦٧،٦٨ الخ .

٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٢ ٥) ابن عبد ربه ٣ : ١٨٢

٦) « « ٣ : ١٧١–١٨٧ ٧) « « ١ : ٢

(له صلة)

القضاء في لبنان

على عهد الحكم الاقطاعي

بقلم وجيه خوري
مستشار في محكمة الاستئناف والتمييز المختلطة

٢

لم يكن هنالك اصول محاكمات منظمة . ولكن القضاة كانوا ، في موادّ الحق المدني ، يصدرون احكاماً معلّلة تعليلاً مختصراً . وكثير من هذه الاحكام يدلّ على علم منشئيها وعدلهم . وكانت طريقة الامراء والمشايخ في اصدار احكامهم تشبه الطريقة التي كان يلجأ اليها القديس لويس ، قاضي ڤانسين الاكبر .

لقد كان الزعيم او الشيخ يعيش بين افراد رعيته ، ويقف على حاجاتهم ومظالمهم وشؤونهم الخاصة فيحكم بروح الوالد الحريص على مصالحهم . وكان المتقاضون يفدون على داره لحمل مظالمهم .

وانّنا لنجد في هذه المظاهر ذاك المزيج بين التقاليد الفرنسوية الاقطاعية وعادات القبائل العربية ، وهو ما اشرت اليه في مستهلّ الكلام .

وفي حديث الاب ازايس عن زيارته للامير حيدر ابي اللمع ، سنة ١٨٠٨ — وهو اول قائمقام مسيحي خلف الامراء الشهابيين — لتصوير صادق لحالة الادارة في ذلك العهد . اجل ان هذا الامير كان موظفاً تابعاً للسلطة التركية ، ولكنه كان يقتفي آثار اسلافه في طريقة حكمه .

يقول الاب ازايس : « ليس على قصر الامير مسحة الامارة فلا تجد فيه مظاهر الترف والبذخ والزخرفة الشرقية التي كان يمتاز بها قصر سلفه الامير

بشير. حتى انك لتحسب ذلك المنزل مسكناً لاحد افراد الرعية لا لحاكم لبنان. تدخل الدار فتجتاز ساحة فيها بعض الخيول العربية، ثم تصعد سلماً عريضاً تنفذ منه الى سطح عالٍ منبسط امام المنزل. على هذا السطح يجلس الامير بتواضع على مقعد من الحجر، في حلقة من مشايخ الجبل ليستمع الى مظالم الناس. ويحيط بالامير كتبة يحاولون على اوساطهم تلك الدواة النحاسية الطويلة التي لا تفارق المتأدب العربي. فيقرأ له بعضهم العرائض المقدمة اليه، والبعض الآخر يطلعه على الاجوبة التي نظمها. فيقرأها الامير ثم يوقع عليها بخاتمه.

«وان مشهد هذا الامير الجالس بين رعاياه بلا زهو ولا بهرجة ليذكرني باقدس ملوك فرنسة القديس لويس الذي كان يصدر احكامه في ظلّ السنديانة، بعد ان يسمح للمتقاضين بثّه شكاويهم.»

اما طرق الاثبات والبيّنات فان الاحكام الموجودة لدينا تظهر انها كانت تستند الى الاقرار، والشهادة، واليمين، والكشف. وهي، على وجه التقريب، الطرق الثبوتية المستعلة في قوانيننا الحديثة.

وما هي القوانين التي كانت تطبق في لبنان؟

ان العهد الذي ندرس قضاءه يمتاز بعدم وجود ايّ قانون مكتوب. فقد كانت كل طائفة تستقلّ نوعاً ما بقضائها وقضاتها. وكان القضاة غالباً من رجال الدين يحكمون حسب العرف والعادة والتقاليد المليّة. وعليه يجب التمييز بين قضاء الطوائف المسيحية وقضاء الطائفة الدرزية.

ولم يبدأ الشرع الاسلامي بالانتشار الا في مستهلّ القرن التاسع عشر، خلافاً لما يعتقد البعض. فان الامير بشير واجه في هذا العهد صعوبات داخلية جمة، فادخل نظام القاضي المنفرد، اما استرضاء للاتراك وقد كان في حاجة الى معونتهم، او رغبةً منه في توحيد التشريع في البلاد. وحتّم على القضاة ان يطبّقوا مبادئ الشرع على احكامهم، اذا كانت هذه المبادئ لا تظهر مخالفةً لروح التقاليد المحليّة.

وكان المسيحيون، قبل ذلك العهد، يطبّقون عاداتهم. وقد يلجأون الى قانون يوستنيانس في بعض الاحيان. وكانوا يلجأون اكثر من ذلك الى «مختصر

الشريعة المسيحية » ، وسنقول كلمة عنه فيا بعد .

وهكذا فـان قرار القسمة بين الشيخين مشرف وانطون الخازن الـذي تكلمنا عنه يستند الى مختصر الشريعة المسيحية في ما خصّ الوصاية ، والى قانون يوستينيانوس في التصرف باملاك القاصر ، والى التقاليد المحلية في الفائدة .

وكان الاساقفة قبل ذلك ، في عهد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ، قد عزموا على تدوين قانون خاص يحتوي على المبادئ القانونية التي يجب عليهم التقيّد بها في احكامهم . وان لم يكن هذا المشروع قـد خرج الى حيّز الوجود ، فسبب ذلـك ان القضاة اكتفوا بوجز ألفه المطران عبـد الله قرألي وهو « مختصر الشريعة المسيحية » المذكور ، وفيـه درس مفصّل لا يمكننا الاحاطة به في هذا المقال .

ويذهب الاب زيادة الى ان هذا المختصر هو موجز عن كتاب عنوانه « الناموس » ألّفه سنة ١٠٥٨ المطران داود للطائفة المارونية في لبنان ، واستمدّ مبادئـه من الكتاب الروماني - الـوري الذي جمع بين دفتيه الشرائع الرومانية الشائعة قديماً في سورية . اما مختصر الشريعة المسيحية هذا فهو قانون مدني يتألف من اثنين وثلاثين باباً ويبحث في وظيفة القاضي ، والشهود ، والاقرار ، والهبة ، والقرض ، والرهن ، وضمان المـال ، وكفالة النفس ، والعارية ، والوديعـة ، والوكالة ، والمبايعات ، والحوالـة ، والشركة ، والمضاربة ، والاكراه والغصب ، والشفعة ، والصلح ، والاجارات والحكور ، والطرق والشوارع والازقـة ، وفيما يوجد من ضائع وسائب ، والحجر ، والحرية والعبودية ، والعتق ، والوقف ، والخطبة ، والزيجة ، وحضانة اليتيم وتربيته ، والوصية بالمال ، والوصي ، والمواريث ، وجناية البهـائم ، وعقوبات المتعدين على وصايا الله وشريعته ، حتى يمكننا القول ان هذا القانون قريب الى الكمال .

وقد ذكرت في مستهلّ المقال ان القوانين المكتوبة والصادرة عن السلطة التشريعية لم يكن لها من اثر في البلاد ، او بالاحرى بين الطوائف المسيحية . فكان «مختصر الشريعة» هذا دليلاً يسترشد به القضاة وان لم يطبّقوه بحذافيره . وانما كان القضاة يسترشدون ايضاً من شرائع يوستينيـانوس ، ومن الشريعـة

الاسلامية ، العرف والعادة . وهكذا فان مختصر الشريعة كان يخوّل البنت حق الارث اما التقاليد الرومانية السريانية فقد كانت تحرمهن من الارث . وقد بقيت هذه الميزة للرجل على المرأة حتى ايامنا في سورية فقد تعوّد السوريون ان يحرموا بناتهم من الارث . وقد احتج موارنة كسروان سنة ١٨١٦ الى الامير بشير حين بدأ القضاة بتطبيق الشريعة الاسلامية ، خصوصاً في وراثة البنات ، وهذا نصّ احتجاجهم :

« الداعي لتحريره

هو ان نحن المدونون اساميتا ادناه اهالي كسروان كهنة واعوام بما ان العادة الدارجة في بلادنا من هل قدر زمان غير معروف في عدم توريث البنات وذلك لاجل اسباب صوابية لم يكن للبنات حق في الميراث مع وجود العصب وهذه العادة لم تسلك قط بيننا وانبها جناب افندينا الامير يوسف والآن اذكان هذا السياج القاصدين البعض خرقه وملاشاته تصدم بذلك صالحهم الخصوصي وغير مبالين في وقوع الخصام والمداوات المزمع حدوثها بين جمهورنا فلاجل حسم هذه المنازعات واستدامة الالفة والمحبة مع بعضنا نظهر ونعلن ان هذا هو قصدنا وغاية مرغوبنا ان تستمر هذه العادة جارية فيا بيننا حسب عادتنا القديمة واما لاجل خلاص ذمتنا مع بناتنا في حين زواجهن نطيع معهن جهاز يوازي استحقاقهن ولذلك نترجا من بحر مراحم سعادة افندينا ولي النعم ابده الله تعالى اشهار خاطره الشريف بان يكون سلوكنا حسب عوايدنا لكون يحقق عندنا من غير ريب ان ليس لنا راحة ولا صالح الا بهذه الواسطة وعلى ذلك قد تم رضا جمهورنا بخاطرنا وتمام رضانا وارادتنا واختيارنا وحررنا هذا السند لاجل البيان صح سنة ١٢٣٢ » (١٨١٦)

وعلى اثر هذا الاحتجاج اصدر الامير امراً بابقاء العادة المشار اليها .

وفي سنة ١٨٢٦ عرض البطريرك يوسف حبيش القضية على رومة ، وكان سلفه البطريرك يوسف تيان قد سأل الكرسي البابوي هل يتحتم على المسيحيين الخضوع للشريعة الاسلامية ، فاجيب انه يقتضي تطبيق الشريعة الاسلامية في المواضع التي لا تنافي الاخلاق العامة .

وبين التقاليد المسيحية التي تخالف نصوص الشرع تخويـل المسيحيين الحق بأن يتصرّفوا بكل ما يملكون في وصيتهم . اما الشرع الاسلامي فلا يسمح بالتصرّف باكثر من ثلث التركة . وفي الارث كان مقبولاً عندهم انه يحق للابن ان ينوب عن والده المتوفّى في حصته من الارث .

وكثيراً ما كان القضاة المسيحيون، قبل تسرّب الشريعة الاسلامية رسمياً الى لبنان، يبنون احكامهم على هذه الشريعة نفسها التي تسيطرت في هذه البلاد شيئاً فشيئاً، وذلك ان لبنان كان محاطاً ببلدان لا تعرف الا الشريعة الاسلامية، وكان كثير من اهاليه يخضعون لنصوصها.

ثم ان عدم تضلّع القضاة من العلوم القانونية ساعد على انتشار الشريعة الاسلامية. فقد كان يعرض عليهم قضايا لا يجدون لها حلّاً في التقاليد المحلية، او في موجزات القانون الروماني، فيلجأون الى الشرّاح المسلمين ومؤلفاتهم في متناولهم. وكان الدروز يتقيّدون بنصوص الشريعة الاسلامية على الغالب. ولكنهم كانوا في امور عديدة يسيرون على تقاليد خاصة بهم، ويطبّقونها حتى في المواضع التي تخالف الشرائع الاسلامية. فللاب عندهم ملْ الحقّ بان يوصي بجميع ما يملكه الى احد اولاده، اذا كان قد حصل على ثروته بنفسه. اما اذا كانت قد اتصلت اليه بالارث، فعليه ان يتقيّد بمبادئ الشرع. ولا يحق للمرأة المتزوّجة ان ترث اهلها، ولا لهؤلاء ان يكونوا وارثين لها. وهكذا فان هنالك شبهاً كثيراً بين التقاليد الدرزية والتقاليد المسيحية.

اما قانون الاراضي فقد سار اللبنانيون في تطبيقه على المبادئ الحديثة اذ انه كان للمالك ملْ الحقّ بأن يبيع املاكه ويتصرّف بها بالصورة التي يريدها.

وفي البلاد التي احتلّها الاسلام كان النظام غيره في لبنان. فقد كانت الاراضي تقسم خمسة اقسام: ١) الارض «الملك» وكانت خاضعة لضريبة الاعشار او الخراج. ٢) الارض «الموات» وهي البعيدة عن البلدان الآهلة والتي لم تكن ملكاً لاحد. ٣) الارض «المشاع» التي تملكها الجماعات والقرى. ٤) اراضي «الوقف» الخاصة بالمؤسسات الدينية او المنافع العامة. ٥) الاراضي «الاميرية» وهي التي كان يملكها السلطان ويترك ريعها ومنفعتها للاهالي.

اما في لبنان فلم يكن هنالك الا فئة واحدة من الاراضي هي اراضي الملك. اما الاراضي المدعوة «السكالك» والتي كانت ملكاً للحكومة، فليس من شبه بينها وبين الاراضي الاميرية. فهي املاك ورثها امراء الجبل عن الاسياد الاقطاعيين او صادروها من بعض الزعماء المغضوب عليهم. وقد كانت

عائداتها تصرف في سبيل الزعماء التابعين للامير وحاشيتهم، عند حلول الامير ضيفاً عليهم، حسبما جاء في القرار الصادر من مجلس ادارة لبنان بتاريخ ٧ تشرين الاول سنة ١٢٨٨. وقد دام هذا التنظيم القضائي حتى عام ١٨٤٥. ففي هذا التاريخ وضع لبنان تحت اشراف تركية المباشر. وسنأتي، فيما يلي، على ذكر النظام القضائي في ذلك العهد. ولكن قبل ان نتطرّق الى درس هذا النظام ارى من واجبي اظهار الصبغة التي كان يصطبغ بها التنظيم الذي درسناه لان هذه المسحة رافقت التشكيل القضائي، على اختلاف الحكومات، وبقي لها بعض الاثر في قضائنا الحاضر.

لقد كان القضاء في هذا العهد قضاء دينياً. وكانت البلاد طوائف متعددة لكلّ منها قضاة من ابنائها، يطبّقون، مع الشرائع الدينية، تقاليد طائفتهم الخاصة. ثم ان القضاء كان ارستوقراطياً. اذ كان للمشايخ والامراء وحدهم الحقّ بالفصل في القضايا الجزائية. وعدا ذلك فان الامير كان المرجع الاستئنافي الوحيد، اي ان القضاء والادارة لم يكونا منفصلَين. ثم ان القضاء كان سهلاً لا يخضع لقواعد واصول في المحاكمات. ولقد يعجب البعض ان يكتفي لبنان، لمائة سنة خلت، بمثل هذا القضاء. ولكن يجب ان لا يغيب عنا ان لبنان منذ مائة عام لم يكن مثله في القرن العشرين. ولا نحسب ان بلداً خطى كلبنان هذه الخطوات السريعة خلال هذه المدة القصيرة من التاريخ، فلم يقتصر الرقي على الحالة الاقتصادية والتجارة، ومظهر المدن والقرى الخارجي، ولكنه تناول الاخلاق العامة والعادات. فان اللبنانيين في القرن الماضي، حافظوا على تقاليدهم العائلية القديمة، فكانوا يعنون وتتهم على الاهتمام باعمالهم اليومية، واكثرها زراعية، ولم يكونوا يجدون راحة لهم ولذة الا في الحياة العائلية الهادئة. وكان ايمانهم الديني وعاطفتهم الوطنية صادقَين في جميع الظروف.

وكان كل لبناني يعيش من نتاج اراضيه. ولم تكن التجارة معروفة في الجبل الّا نادرًا اذ كانت تقام الاسواق في بعض فصول السنة وفي قرى معلومة كسوق الغرب مثلاً. فكان القرويون يشترون بأغلال اراضيهم ما يحتاجون اليه، ولم يكن للبذخ من اثر في منازلهم. اما التجارة الخارجية فلم تكن

واسعة وانما كانت تقام في المدن القليلة.

وكانت بيروت مدينة صغيرة لا يتجاوز سكانها العشرة آلاف، وعليها صبغة المدن الشرقية وقد امت نظر لامرتين حين دخلها مشهد جموع «العرب» المحتشدين على المرفأ بأزيائهم البرّاقة واسلحتهم الحربية.

وقد وصف المنازل قائلاً انها تتألف من دهليز يستعملونه مطبخاً، وغرفة ينام فيها افراد العائلة مهما بلغ عددهم. وكانت النساء والاولاد يقضون نهارهم وقسماً من الليل على سطح المنزل. ويتابع لامرتين قائلاً ان العائلات الرومية والسورية والعربية التي كانت تقطن هذه المنازل لم تكن على شيء من الهمجية اذ ان افرادها يمتازون في الثقافة عن مزارعي فرنسة، فهم جميعاً يحسنون القراءة والكتابة باللغتين العربية واليونانية. ثم انهم لطفاء. وهادئون مجتهدون يقضون الاسبوع في الاعتناء باراضيهم، او بصناعة الحرير، ويصرفون نهار الاحد مع ذويهم بمشاهدة الحفلات الدينية اليونانية او السريانية. ثم يعودون الى منازلهم فيتناولون طعاماً يمتاز عن طعامهم اليومي.

اما الرجال والفتيان فيقضون نهار الاحد في نزهة قرب العين، ويتبادلون الاحاديث والروايات. ثم يتناولون من وقت الى آخر فنجان قهوة او كأساً من الماء القراح. وهذه هي اللذة الطبيعية البريئة التي فقدها المعاصرون بين ضجيج الحانات ودخان المقاهي.

واليكم وصف بيروت سنة ١٨٣١ بقلم الاب ريكادونا اليسوعي الذي جاء هذه البلاد لتأسيس الرسالة التي عملت على ترقية البلاد وبعث النهضة القانونية فيها. قال الاب المومى اليه:

«... انه ليطول الشرح كثيراً ان اردت ان اخبركم بكل ما لفت نظرنا من الغرائب عند وصولنا الى هذا العالم الجديد: طبيعة شائقة، وسماء متلألئة، وهواء نقي، ومناخ لطيف، واراض بور تنطيها الرمال، وبيوت صغيرة تكاد لا ترتفع عن سطح الارض. لا شوارع، بل ازقة تكاد لا تصلح الا لمرور الجمال. اما السكان فيظهرون بالاردية الواسعة الفاقعة الالوان، وبالعمائم الضخمة، والزنانير العريضة، والقلابين المتدلية حتى الارض، وبالكثير من الشراريب، والشرائط، والريش، والاقراط المتعلقة بالآذان والانوف والشعور! ثم بالخناجر والنظارات. وهم يحلقون رؤوسهم الا خصلة من الشعر في قمة الرأس يتركونها حتى

تطول جداً. وكذلك يطلقون لحام وشوارجم التي تلفت الانظار بطولها. وهم ابداً عارو السيقان والاقدام حتى الاغنياء منهم. وفي البلاد كثير من الخيل والجمال . ولكننا لم نصادف مركبة واحدة ، ولا عجلة ، حتى ولا دولاباً .»

ولقد نتساءل هل المدينة التي يصفها الكاتب هي بيروت ام احدى قرى حوران . لان البون شاسع بين بيروت تلك وبيروت في عهدها الحاضر.

ونحن نستطيع ان نرى اثراً للسذاجة في معاملات اللبنانيين بعضهم مع بعض فقد كانوا سليمي النية يقدّسون الوعد ولا يخلفونه واني انقل اليكم تعريباً حرفياً لعقد بيع اجري عام ١٨٣٤ :

« يحد قطعة الارض غرباً طاقة المعصرة ، وشرقاً الحجر الاصفر . والميري على الجيري . »

ولم يكن المتعاقدون يهتمون بتنظيم الحدود كما تفعل دوائر الكادسترو اليوم ، مع انه كان من الممكن نقل الحجر الاصفر ، وازالة طاقة المعصرة . ولكن ما كان مستحيلاً القضاء عليه هو حسن نية المتعاقدين وشهادة الجيران . وذلك كان الضمانة الوحيدة للمالك خلال اجيال عديدة . واليكم صورة تعهد بالدين (ولم يكن السند معروفاً في ذلك الحين) يرجع تاريخه الى اوائل القرن التاسع عشر :

«اننا نعطي الى ابن عمنا اثني عشر غرشاً ونصف الغرش وقد تعهدنا بدفعها له مع ربح غرش وربع في الموسم القادم.»

فتكون الفائدة عشرة في المائة وهي ليست بكثيرة. واذا كان اللبنانيون في ذلك العهد قد لجأوا الى التعهدات الخطية فهم لم يصبغوها بصبغة رسمية . ولم يعرف مبدأ التسجيل الا في عهد داود باشا ، متصرف جبل لبنان ، الذي اصدر سنة ١٨٦٢ امراً يقضي بتسجيل السندات. وفي عام ١٨٦٩ اصبح تصديق المحكمة لعقود البيع والرهن محتماً.

فنرى ان القضاء والقانون كانا منطبقين على حاجات ذلك العهد . واصدق دليل على ذلك حالة الرخاء والسكينة التي كان لبنان يتمتع بها في ذلك الحين.

(له صلة)

التذكار المئوي لرحلة لامرتين الى الشرق



لامرتين في لبنان وسورية

تموز ١٨٣٢ — نيسان ١٨٣٣

بقلم ا. سركيس

توطئة

في مثل هـذا الشهر من سنة ١٨٣٣ ، كان الشاعر الفرنسي الكبير ، الفونس دي لامرتين ، يغادر ربوع الشرق الادنى ، موجّهاً نظره الى اوربة ، بعد ان قضى في سورية ولبنان عشرة اشهر ، كان في خلالها موضوعاً لمحبة اهل البلاد واكرام حكامها وامرائها.

فنحن اذن في ختام المئوية الاولى لرحلة لامرتين الى الشرق . ولقـد كان من المنتظر ان تهتمّ صحافتنا بالامر فتفيه حقه من البحث ، تجديداً لذكر هذا الشاعر العظيم الذي شحن مذكرات رحلته بعواطف الحب والاعجـاب ببلادنا وطيب هوائها ولطف سكانها ؛ ثم اجتناء لبعض ما اوحاه خياله ودبّجته يراعته في وصف هذه البلاد وعادات اهلها مما يرجع بنا في الذكر الى عصر اجدادنا ، قبل مئة سنة.

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن . ومضت السنة الموافقـة لاشهر الرحلة ، ولم يتكلم احد بالموضوع ، فيما نعلم ؛ اللهم ! الا بعض الفرنسويين ، واللبنانيين المقيمين في باريس[١].

---

١) علمنا ، بعد ان اعددنا هذا المقال للطبع ، انه قد تألّف لجنة في باريس ولجنـة في لبنان للاحتفال بهـذه الذكرى في شهري نيسان وايار . وانه سيكون من جملة الحفلات التذكاريـة حفلة كبيرة تُقام في قصر بيت الدين ، حيث نزل الشاعر ضيفاً على الامير بشير الثاني . فعسّانا ان يتحقق املنا ، وإن متأخراً.

لذلك رأينا ان ننشر، على صفحات « المشرق » ، بعض معلومات تعرفنا بلامرتين ومكانه في عالم الادب ، واهم ادوار سياحته في بلادنا ، ووصف كتابه « رحلة الى الشرق » .ثم زدنها بتعريب فصول من هذا الكتاب ، نختارها مما له فائدة تاريخية او ادبية.

ولم نتعرض ، في كل ذلك ، للابحاث الدينية او السياسية ، لعلمنا ان هذه المنازعات لا تفيد القرّاء شيئاً ، لاسيا وان كل ما دوّنه لامرتين من هذا النوع انما كان شؤوناً ظرفية مضى وقتها . ولا بدّ من الاشارة الى اننا تبعنا ، في سرد حوادث الرحلة ووصف اماكنها ،ما دوّنه لامرتين نفسه في كتابه ، تاركين تمحيص ذلك وتعليله وعرضه على محكّ الانتقاد لمن يهمهم الامر.

وعلى كل فلنا الامل الوطيد اننا ارضينا القرّاء الكرام ، وقمنا ، في خدمة الادب ، ببعض الواجب.

لامرتين

١٧٩٠–١٨٦٩

حياته

في البيت الابوي

الفونس - ماري - لويس پرا دي لامرتين . ولد بكراً لستّ اخوات ، في ٢١ تشرين الاول من سنة ١٧٩٠ ، في بلدة ماكون (Mâcon) الواقعة على نهر الصُون (Saône) ، شرقي فرنسة.

اما ابوه فكان سليل اسرة عريقة في النبل ، مثالًا للصدق والاستقامة . واما والدته فقد اشتهرت بين نساء عصرها بذكاء العقل ، ورقة القلب ، وحرارة التقوى فكان لعنايتها واخلاقها هذه تأثير لا ينكر في تثقيف ابنها وتهيئة نبوغه . ولما كان الفونس الصبي الوحيد لوالديه ، فقد ربّياه على الدلال والغنج ، الامر الذي جعله رقيق الحاشية ، لطيف المزاج.

ولم يبلغ سنّ السادسة عشرة ، حتى كان قد انهى جميع دروسه في معاهد كبيرة . فعاد الى ماكون ، واقام في البيت الابوي يطالع ، ويتأمل ، ويبني صروح الآمال العالية ؛ وينظم ، بين حين وآخر ، قصائد على طريقة ذلك العصر : يشوبها التكلف والتلاعب اللفظي ، وتنقصها المعاني الحية المبتكرة .

وفي سنة ١٨١٠ زار ايطالية ، بلاد الفنّ والجمال ؛ فرجع منها حاملاً في مخيّلته احساساً قوياً ، ضمه الى شعوره الماكوني الدقيق ، ورقة اخلاقه الطبيعية .

في العالم

اعيد الحكم الملكي الى فرنسة سنة ١٨١٤ ، على اثر سقوط نابوليون في ايدي الحلفاء ، واعتلى العرش لويس الثامن عشر البوربوني ؛ فعين لامرتين ضابطاً في فرقة الحرس الملكي .

ولكن ثورة « المئة يوم » وحروبها ابعدته عن اعمال الحكومة ؛ فعاش حرّاً ، تارة في ماكون او باريس ؛ واخرى في الاسفار والسياحات . وكان ، في اثناء سفره الى ايطالية ، قد تعرّف الى فتاة تكلم عنها باسم الثيرا (Elvire) ، واحبها كثيراً ، وكان يرجو ان يتزوجها . بيد ان الموت حال بينه وبين امنيته هذه ؛ فشقّ عليه الامر ، وافاض ينبوع شعوره ؛ فاخذ ينظم القصائد الرقيقة ، التي شهرته في اندية باريس ، والتي نشرها سنة ١٨٢٠ بعنوان « التأملات » فنالت رواجاً عظيماً ، وكانت سلّم لامرتين الى المجد الادبي . حتى ان لويس الثامن عشر ، اظهاراً لتقديره نبوغ الشاعر ، عينه كاتم سرّ السفارة الفرنسية في فلورنسة . والندوة الفرنسية (L'Académie) انتخبته عضواً عاملاً فيها .

وكانت ثورة سنة ١٨٣٠ ، التي اسقطت عن العرش شارل العاشر ، آخر ملك من فرع السلالة البوربونية البكر . فاستقال لامرتين من منصبه حفظاً لعهد مليكه المعزول . وكانت نفسه تتوق الى سياحة في الشرق ؛ فقام بها سنة ١٨٣٢ . ولما عاد منها سنة ١٨٣٣ ، كان قد انتُخب عضواً لمجلس النواب . فابتدأت حينئذٍ حياته الجدّية في السياسة . ولما نشبت ثورة سنة ١٨٤٨ ، التي كان ، بمؤلفاته ، اكبر مساعد على اشعال نارها ، عيّن وزيراً للخارجية في الجمهورية الاولى ، التي انشئت اذ ذاك .

ولكن اعتلاء لويس نابوليون كرسي رئاسة الجمهورية سنة ١٨٥٠ جعل لامرتين يعتزل السياسة نهائياً ، ويرجع الى الحياة الادبية التي لم يتركها حتى في ابان اشتغاله في السياسة .

الشيخوخة والفقر

غير ان الجمهور سريعاً ما ينسى حسناته الماضية ! فهو لا ينظر الّا الى يومه . ولم يكن الجمهور الفرنسي ليحيد عن هذه القاعدة لاجل لامرتين . فان « التأملات » كانت قد تنوسيت ، ونبوغ لامرتين ضعف بحكم الطبيعة . فقلّ عدد قرائه ، واخذ اسمه بالخمول . حتى دخل في ضيق مالي التزم معه ان يشتغل بالتأليف « الاجباري » ، كما قال هو نفسه ، ليسدّ ديونه . فكان يترجى القرّاء ليشتركوا في طبع كتبه . والحقيقة ان هذه الكتب التي كان يعرضها على القراء لا تليق بشاعر مثله .

وذكرت له الحكومة خدماته السابقة ، فقدمت له رأس مال يساوي خمسمائة الف فرنك لم يمنعه ان يقضي شيخوخة فقيرة ، شأن كل اديب لا مورد له سوى نتاج عبقريته .

ومات لامرتين سنة ١٨٦٩ فدفن بكل بساطة في سان - بوان (Saint Point) قرب ماكون ، حيث لا يزال قبره الى اليوم .

آثاره

خلف لامرتين ما يقارب العشرين مؤلفاً ، منها شعر ومنها نثر . ولكن قيمتها تتفاوت تفاوتاً كبيراً .

اما في الشعر فاهم مؤلفاته :

التأملات الاولى (*Les Méditations*) سنة ١٨٢٠ . وفي هذه المجموعة اجمل قصائده ، كالبحيرة (*Le Lac*) ، والوادي (*Le Vallon*) ، والخلوة (*L'Isolement*) ، والمساء (*Le soir*) .

التأملات الجديدة (*Les Nouvelles Méditations*) سنة ١٨٢٣ . ومنها :

الماضي (*Le Passé*) ، والشاعر على فراش الموت (*Le Poète mourant*) ، والمصلوب (*Le Crucifix*).

موت سقراط (*La Mort de Socrate*) سنة ١٨٢٤ . نظم فيه قسماً كبيراً من محادثات سقراط الاخيرة واخبار موته المذكورة في كتاب فيدون (*Phédon*) لافلاطون .

الانغام الشعرية والدينية (*Les Harmonies poétiques et religieuses*) سنة ١٨٣٠

الاختلاءات الشعرية (*Les Recueillements poétiques*) سنة ١٨٣٩ الخ .

وله ملحمتان شعريتان جرّب ان ينظم فيهما تاريخ البشرية كما تخيّله . فلم يوفق الى غايته كل التوفيق . لانه ، بعكس هوغو ، لم يُعطَ موهبة التوسّع في المواضيع الفسيحة الخارجة عنه « فهو لا يعرف ولا يقدر ان يتكلم الا باسم نفسه . »[1] والملحمتان هما جوسلين (*Jocelyn*) (١٨٣٦) ; وسقوط ملاك (*La Chute d'un Ange*) (١٨٣٨) .

اما آثاره النثرية فاهمها واجدرها بالذكر كتاب « الرحلة الى الشرق » (*Voyage en Orient*) (١٨٣٥) الذي سنتكلم عنه . وما بقي منها فاغا كتبه لامرتين في اواخر حياته للتكسّب ، مثل تاريخ الجيروندان (*Histoire des Girondins*) في ثمانية مجلدات (١٨٤٧) ; ورواية غرازيلا (*Graziella*) ; وتاريخ الثورة ، وتاريخ الآداب المعموم (*Cours familier de littérature*) ... الخ . وكلها لا تليق بعبقريته .

وللامرتين ، عدا ذلك ، خطب وتقارير عديدة القاها في ابان مجده السياسي من سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٤٨ . ولكنها لم تشتهر في عالم الادب كما ان صاحبها لم يشتهر في عالم الادارة . فهو على حدّ ما قيل فيه : « قيثارة تلحن اناشيد الحبّ ، لا حكيم يدير دفّة السياسة . »

١) Sainte Beuve : *Portraits contemporains*, octobre 1832.

شعره

« ليس لامرتين شاعراً ، بل هو الشعر بعينه ! »

بهذه الكلمات الوجيزة حدد ڤيكتور هوغو شخصية لامرتين الادبية.

ويكفي ان نعرف ما كان عليه الشعر في ذلك العصر ، وما جدّد فيه لامرتين ، لنفهم قوة هذا التجديد وخلوّه من المغالاة الزائفة.

كان القرن الثامن عشر في فرنسة يسمى عصر العلم ، لان الادباء انصرفوا فيه عن المواضيع النفسية الى الابحاث الفلسفية والعلمية. فاخذ الادب بالانحطاط ، وقلّت فيه العاطفة الحقيقيّة ، لانه ابتعد عن المصدر الاول ، اي النفس الانسانية وشواعرها.

ودخل القرن التاسع عشر ، والشعر لم يزل على هذه الطريقة من تكديس الالفاظ التي لا تدلّ على كثير من المعاني . زد على ذلك ان القوم كانوا خارجين من عهد ثورة ، وانقلاب سياسي عظيم ، وحروب داخلية وخارجية اودت بالكثير من الرجال . فكانت النفوس بانتظار شاعر ينشد حالتها التعسة من حزن وألم ورجاء.

في مثل هذه الحالة ظهرت « تأملات » لامرتين سنة ١٨٢٠ . فاقبل عليها القرّاء اقبال العطاش على مورد صافٍ قريب المنال ؛ وطارت شهرة صاحبها في فرنسة ، ولاسيا في اندية باريس ؛ واصبح المتأدبون ولا همّ لهم سوى الكلام عن «التأملات» واستظهار قصائدها لنثرها في محادثاتهم ؛ مثل البحيرة ، والخلوة ، والوادي . . .

والحقّ ان ميلهم الى هذا الشاعر لم يكن جزافاً . فان لامرتين حقّق احلام اهل عصره بما سكبه في شعره البالغ اقصى حدود الرقة من العواطف الانسانية الصحيحة الصادرة عن ألم صادق ، والتي تبتدئ بانة اسف ، وتنتهي بابتسامة الرجاء العذبة.

ولدينا شهادات عديدة تدلّ على ان لامرتين كان ذلك الشاعر الملهم الذي لحّن على اوتار القلب البشري شعور جميع قرانه وعواطفهم . من ذلك ما

كتبته السيدة لامرتين ، امّ الشاعر ، وكأنها تكلمت بلسان كل نساء فرنسة :

« بعث اليَّ الفونس ببعض ابيات نظمها ؛ وقد اثرت فيَّ كثيرًا . انه يتكلمها افكر به ، فكأنه لساني . نعم اني كثيرًا ما اشعر بالعواطف السامية ؛ ولكني ارى نفسي خرساء عندما اريد ان اعبّر عنها ، حتى فه . وحينما اتأمل ، يصبح قلبي اتونًا كثير الضرام لا يستطيع لهيبه انفلاتًا . ولكن الله المصني اليَّ لا يحتاج الى كلاماتي . فاشكره لانه اعطى لابني ان يتكلم بلساني . »

ومما قاله السيد كوفيه (Cuvier) عضو الندوة الفرنسية (*l'Académie*) :

« اذا كان احدنا معتزلًا ، طلبًا للترهة والراحة ، في احدى ساعات الحزن واليأس التي تستولي احيانًا ، حتى على القلوب الجبارة ؛ واتفق له ان يسمع من بعيد صوتًا رخيمًا شجيًا يتغنى بعواطف تشبه عواطفه ، فانه يشعر بارتياح ويجاذب داخلي ، اذ يحسّ ان اوتار قلبه التي ارخاها الخور عادت الى الاهتزاز . واذا تدرّج هذا الصوت الذي يصف آلامه ، فامتزج بشيء من الرجاء والتعزية ، فان الحياة تنتعش فيه ، فيتعلّق قلبه بالصديق المجهول الذي ردّها اليه ، ويودّ لو يتاح له ان يضمّه الى صدره ، ويشكر له كل ما جاد به عليه : ذلك كان تأثير لامرتين على النفوس الحساسة ، المتسائلة لسرّ الوجود ! » (١

اما طريقة لامرتين في اكثر قصائده ، التي تميّز شخصيته ، فهي ان يبتدئ بوصف مشهد طبيعي ، او اعادة تذكار ماض ! فيجرّه ذلك الى الكآبة ، فالحسرة ، فاليأس احيانًا ؛ ولكنه لا يلبث ان يشعر بتأثير الطبيعة وجمالها ، فيرجع الامل والهدوء الى قلبه ؛ حتى انه يتمنى الموت ليتحد بالله ، منشئ الطبيعة ، ومصدر كل تعزية ، وغاية كل امل .

هذا اذا لم تكن القصيدة تاريخية او اجتماعية . فانه يندفع حينئذ بعاطفته الحرّة الجريئة كالسيل الجارف .

اما اسلوبه الانشائي ، فليّن ، عذب ، سهل المنال ، قريب الى الافهام . ان لامرتين شاعر من طبيعته ، نابغ منذ نشأته ، والشعر هو « لغته الطبيعية ، كلما جاشت عواطفه من الم عميق او ازدحمت افكاره امام مشهد جيل . » [٢] وقد اعرب عن ذلك في قصيدته الجميلة المشهورة ، « الشاعر على فراش الموت » ؛ ومنها قوله : « لقد انشدت الشعر كما يتنفس الانسان ، وكما تسجع الطير ، وكما

١) Des Granges: *Hist. illust. de la Littérat. Française*, p. 792

٢) الرحلة الى الشرق – *Voyage en Orient* ، طبعة ١٨٦١ ، ٢ : ٢٦

ترفز الريح ، وكما تدندن المياه في جريانها.» (١) فلم يجتهد يوماً ان ينتقي عبارته، او يبحث عن المعاني والتراكيب العويصة. لذلـك عاب عليه المدققون ضعف انشائه. ولذلك ايضاً خمد ذكره في اواخر القرن الماضي ، ايام صارت الامـارة الشعرية الى البرناسيين (Parnassiens) ، المشهورين بغيرتهم على المتانة اللغوية والتحسين البياني. اما اليوم فقد رفعه النقّاد الى المرتبـة التي تليق به ، واظهروا ما في شعره من المحاسن؛ حتى ان الكثيرين يعدّونه اعظم شعراء القرن التاسع عشر ، واضعينه فوق فيكتور هوغو. ولا بدع. فان هوغو نفسه شهد له بالتفوق اذ قال :

«ليس لامرتين شاعرًا ، بل هو الشعر بعينه!»

***

هذا هو الرجل الذي زار بلادنا لمئة سنة خلت ؛ وخلّف اسمه ضيفاً ابديًا في اكثر معالمها. فهذه غرفة لامرتين في بيت الدين ؛ وهـذا بيت لامرتين في حمّانا ؛ وهذه ارزة لامرتين الخالدة. وهذه . . . وتلك . . . ذكريات كثيرة.

وهذا هو الرجل الذي رأينا من الواجب احياء ذكره وبثّ محبته بين ابناء البلاد ، لانه كان السابق الى حبنا ، كما سترى من درس رحلته.

(١) Nouvelles Méditations Poétiques, Le Poète Mourant.

(له صلة)



محاولات في درس جبران

يسوع الانجيل ويسوع جبران

بقلم امين خالد

٣

(تتمة)

لا عجب في ان يكون جبران بعيداً عن الاقرار بالخوارق والمعجزات التي اجترحها السيد المسيح وحفظت ذكراها الاناجيل الاربعة، وهو من عرفنا ميله الى النزعة المادّية والى تحليل مظاهر الحياة باجمعها عن طريق العاطفة والخيال. وانه ليكفينا ان نقوم بمقابلة قصيرة بين نصوص الاناجيل الصريحة بشأن العجائب، وتعليل جبران لها، مختارين اربعة من اهمها وهي: شفاء العمى، والشلل، واخراج الشياطين، واعادة الحياة:

« وفيما يسوع مجتازٌ من هناك تبعه اعميان يصيحان ويقولان: ارحمنا، يا ابن داود. فلما دخل البيت دنا اليه الاعميان. فقال لهما يسوع: هل تؤمنان اني اقدر ان افعل ذلك. فقالا له: نعم، يا ربّ. حينئذٍ لمس اعينهما قائلاً: « كايمانكما فليكن لكما. » فانفتحت اعينهما. »(١

هذا وذكر شفاء العميان كثير في الاناجيل الاربعة بصراحة تامّة. وكذلك شفاء المقعدين والمخلّعين:

« وفي احد الايام كان يعلّم، وكان الفريسيّون ومعلّمو الناموس جالسين، وقد اتوا من جميع قرى الجليل واليهودية ومن اورشليم ... واذا برجال يحملون مخلّعاً على سرير وكانوا يلتمسون ان يدخلوا به ويضعوه امامه. واذ لم يجدوا من اين يدخلون به لسبب الجمع صعدوا به الى السطح ودلّوه من بين اللّبِن مع سريره الى الوسط الى قدّام يسوع. فلما رأى ايمانهم قال: « يا رجل، مغفورة لك خطاياك. » فجعل الكتبة والفريسيون يفكّرون ويقولون: من هذا الذي يتكلّم بالتجديف؟ من يقدر ان يغفر الخطايا الا الله وحده؟ فعلم يسوع افكارهم وقال لهم: « ماذا تفكّرون في قلوبكم؟ ما الايسر ان يقال مغفورة لك خطاياك ام ان يقال: قُم وامشِ؟ ولكن، لكي تعلموا ان ابن البشر له سلطان على الارض ان يغفر الخطايا – ثم قال للمخلّع – : لك اقول: قُم احمل سريرك واذهب الى بيتك! » وفي الحال قام قدّامهم، وحمل السرير الذي كان مضطجعاً عليه ومضى الى بيته ممجّداً الله. » ٢)

---

١) متى ٩: ٢٧–٣٠ ٢) لوقا ٥: ١٧–٢٦

وهذا مثل على اخراج الشياطين :

« وكان في المجمع رجلٌ به روح شيطان نجس ، فصاح بصوت عظيم قائلا :« دعْ ما لنا ولك يا يسوع الناصري ! أأتيت لتهلكنا ؟ قـد عرفتك من انت انـك قُدُّوسُ الله .» فانتهره يسوع قائلا :« اخرس ، واخرجْ منه .» فصرعه الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضرّه شيئاً .» (١

واما قيامة الاموات فاشهر عجائب المسيح فيها قيامة لعازر، وقيامـة ابنة الرئيس، وقيام ابن ارملة من مدينة نائين. وكان يسوع ذاهباً الى هذه المدينة :

« فلما قرب من بابها اذا ميت محمولٌ ، وهو ابن وحيد لامه وكانت ارملةً ، وكان معها جمع كثير من المدينة. فلما رآها الرب تحنَّن عليها وقال لها :« لا تبكي ».ودنا ولمس النعش فوقف الحاملون. فقال :« ايها الشاب ، لك اقول : قُم .» فاستوى الميت وبدأ يتكلم فسلَّمه الى أمه. فاخذ الجميعَ خوفٌ ومجدوا الله قائلين: لقد قام فينا نبيٌّ عظيم وافتقد الله شعبه .»(٢

واما قيامة لعازر فاننا نحيل المطالع الى انجيل يوحنا(٣) ، فيرى فيه تلـك القطعة الرائعة معنًى ومبنًى . الى غير ذلـك من الاعـاجيب الكثيرة . واننا لم نكتفِ بهذه المظاهر الاربعة الّا لان جبران يشير اليها خاصة ويحاول تعليلها بما يستدعي الابتسام، قائلا عن المسيح، على لسان ملاخي الفلكي البابلي :

« يقولون انه كان يعطي العميان بصراً ، والمقعدين مقدرة على المشي ، وانـه كان يخرج الشياطين من المجانين .

قد لا يكون العمى الا فكرة مظلمة يمكن التغلّب عليها بفكرة ملتهبة . وقد لا يكون العضو المشلول الا خمولًا يمكن ايقاظه بالقوّة المتحرّكة . وقد يكون ان الشياطين، وهي العناصر القلقة في حياتنا ، تخرجهم منا ملائكة السلامة والطمأنينة .

ويقولون انه اعاد الموتى الى الحياة . فاذا كنت تقـدر ان تخبرني ما هو الموت ، فانـا حينئذ اخبرك ما هي الحياة .» (٤

كذا ! ولا نرى ضرورة للتعليق على هذا الشرح !

بل فلننتقل الى اهم المواقف، غير العجائب، من التي ترك فيها جبران الموضوع النـاني المحض ليجعل محور بحثه فلسفيًا عميقًا وشبه لاهوتي . فنراه يوجز خلاصة افكاره في النصّ الذي هو مقدمة « آلهة الارض» وزبدة كل مـا مضى من التآليف، وذلك النصّ مرويّ على لسان « يوحنا التلميذ الحبيب في شيخوخته» قال :

---

١) لوقا ٤: ٣٣-٣٦
٢) لوقا ٧: ١٣-١٧
٣) يوحنا ١١: ١-٤٦
٤) يسوع ابن الانسان ، ص ٩٤-٩٥

« ولعلكم تسألون ، لماذا سميته « الكلمة الاولى » . فاصغوا لاجيبكم :

في البدء تحرّك الله في الفضاء ، ومن حركته التي لا قياس لها ولدت الارض وفصولها.

ثم تحرّك الله ثانية ، فانبعثت الحياة ، فصار حنين الحياة ينشد العلو والعمق ، ليكون له الاكثر فالاكثر من ذاته.

ثم تكلّم الله ، فكان الانسان من كلماته ، وكان الانسان روحاً مولودةً من روح الله.

وعندما تكلّم الله هكذا ، كان المسيح كلمته الاولى ، وكانت تلك الكلمة كاملة ،

وعندما جاء يسوع الناصري الى العالم ، سمع العالم به الكلمة الاولى الخارجة من فم الله ، وصار صوت تلك الكلمة لحماً ودماً . » (١

فلنغربل هذا المتن الذي تكاثفت به افكار جبران واتخذت فلسفته عبارتها المختصرة المفيدة عن يسوعه ، على لسان تلميذه الحبيب ، في سن الرصانة والحكمة . ولنتخلص من الذهول الفوري امام الآيات الطنّانة في هذا الموضوع العويص ، ونحفظ ما يبقى بعدئذ بصفاة الفكر ونرى نسبته الى المبادئ الروحية .

قال جبران : « في البدء ، تحرّك الله في الفضاء . . . » فاستعمل في تعبيره الفعل اللازم اي الذي يكتفي بفاعله ويعود تأثيره عليه . مع ان المذاهب الروحية تدين بغير هذا المبدأ ، لانها تعلّم ان الله في البدء حرّك الكون وخلق وابدع ، اي تعدّى بافعاله الى ما يخرج عن ذاته ، فبرأ عالم الوجود . فالله كان قبله منذ الازل ، وباقٍ بعده الى الابد . وكان من جملة ما ابدع الارض ، والانسان الذي صوره من ماء وطين ، ونفخ فيه من روحه . واما جبران فيقول ان الارض وُلدت من الحركة الذاتية الكبرى لله ، ومن مثل هذه الحركة الالهية العظمى انبثقت الحياة . واتخذت هذه الحياة الالهية الارضية توسّع دائرة نطاقها لتكسب الغلبة والتفوّق برفعتها وتأصلها . وعندما بلغ تطوّر الحركة الالهيّة — لا الحركة التي احدثها الله خارجاً عن نفسه — الى هذا الحدّ وصار ارضاً حيّة ملأت الجوّ الخالي ، عند ذلك « تكلّم الله ، فكان الانسان من كلماته ، وكان الانسان روحاً مولودةً من روح الله . » وفي هذا الدور تلفظ الله بالكلمة ، اي اظهر معنى الحياة الارضيّة المتغلّبة ، لان الكلمة هي عبارة عن الثوب الذي يفصّل للمعنى المقصود ، وهي ترجمة الغاية الكامنة في سر المتكلّم .

---

١) يسوع ابن الانسان ، ص ١٢٦–١٢٧

ويتكلم الله جعل الانسان روحاً منبثقة من روحه ، فكان هـذا الانسان موضوعاً وغايةً للحياة الارضية التي انبتها البذار الالهي ، وكان المسيح اول ثمرة كاملة انتجتها تلك الشجرة « وصار صوت تلك الكلمة لحماً ودماً » . يُشبع جبران فكرته ايضاحاً ، فيبيّن ان موسيقى الكلمة التي صدرت من شفتي الله عندما اخضرت الارض بالحياة ، « هي اللحم والدم » . ومن البديهي ان حسن النغم وجمال اللحن يكونان في تمام العناية باللحم والدم ، اي في عناصر الجسد فقط . وهكذا يكون الجسد البشري هو الكلمة الكاملة المولودة من روح الله . ويكون هذا الجسد هو القالب الذي حصر به « حنين الحياة الذي ينشد العلوّ والعمق » ، اي الذي تكاثف به حب الانشراح والاتساع اللامتناهيين في تجسّمه الارضي الناتج عن تحرك الله على الوجه الذي « لا قياس له » اي الذي لا يحدّ حركته فكر ، ولا يدركها فهم .

مرةً اخرى يتجلّى جحود جبران اصل المبادئ الاساسية للمذاهب الشرقية التي اوجدت نزعات ما وراء الطبيعة ، وذلك بانكاره استقلال القوّة السماوية اللامتناهية التي تعمل بارادتها الحرّة عملاً غير لازم .

ومرّةً اخرى يلغي الروح المجرَّدة والفكر والعقل ليقدّس ويؤله « كتلة اللحم والدم » بجعلها نغمة الروح وسرّ الحياة .

ولكنه في هذه المرّة اتخذ رمز الروحية التاريخية الاكبر (يسوع المسيح) وادغمه في خلايا المذهب المادي الرامي الى تقديس الارض وكل ما عليها ، واهم خُلق يميّز هذا المذهب الفلسفي هو عبادة الجسد . وقد انشأ جبران في كتابه مقالاً مخصوصاً للتعبير عن تأليفه بين المبدأين النقيضين ، وهو الذي يستنطق فيه « سركيس الراعي اليوناني الشيخ الملقب بالمجنون : يسوع والاله بان »[1]

وبهذا التأليف وذاك الادغام الصق جبران في اثره الفنيّ علّة الاضطراب بين الحقيقة العلمية والتركيب الادبي . ونقدّر بانه سيق الى هذا الانتاج ليجعل من عصارة عاطفته المكبوتة طعنة انتقام سامّة في قلب الهيئة الاجتماعية التي حرم جليل رغائبه ، في مقتبل عمره ، بسبب فرد من ابنائها هو المطران بولس غالب[2] ،

١) يسوع ابن الانسان ، ص ١٨٦–١٨٩ ٢) في الاجنحة المتكسرة

وسبب فروق اعضائها فاعتبرها من ظلام العاطفة الجائرين على الحرية. فكان متطرفاً في نزعته، وكان مغرقاً في جدتيته، ليحول القوم عن موضوع تعاليمهم.

ومما يلفت النظر ويؤيد رأينا هذا الزفرة المرة التي ينفثها جبران على لسان «سابا الانطاكي: يصف شاوول الطرسوسي» بحق منظم اللاهوت الروحي، وباعث الاتجاهات الروحية المسيحية: بولس الرسول. قال:

«ان بولس هذا رجل عجيب غريب. ان نفسه ليست بنفس الرجل الحر. فهو كثيراً ما يبدو كالحيوان في الغابة، طارده الصيادون ورموه، فجاء ينشد كهفاً يخفي فيه الم‍ه عن العالم.

وهو لا يتكلم عن يسوع ولا يعيد اقواله. بل يعظ عن ماسياً الذي انبأت عنه الانبياء.

ومع انه من علماء اليهود فهو يخاطب اصحابه اليهود باليونانية. ويونانيته عرجاء، وهو لا يحسن اختيار الفاظه لمواضعها.

بيد انه رجل ذو قوة خفية، والناس يؤيدونه باقبالهم على سماعه، وكثيراً ما يؤكد لهم اموراً هو نفسه لا يثق بها.

فنحن الذين عرفنا يسوع وسمعنا خطبه نقول انه علم الانسان كيف يحطم قيود عبوديته ليتحرر من سجون امسه.

ولكن بولس هذا يصنع قيوداً جديدة لرجل الغد. فهو يضرب بمطرقته على السندان باسم رجل هو نفسه لا يعرفه... فالناصري يرغب الينا ان نعيش الساعة بوجد وشوق. اما رجل طرسوس هذا فانه يأمرنا بالمحافظة على الشرائع المكتوبة في الكتب القديمة.»(١

اذن جبران نفسه يصرح بان يسوع الذي يقصده على طرفي نقيض مع يسوع بولس الرسول. فيسوع، كما بشر به بولس، مصدر الرصانة والمحافظة والنظام. وهي اشياء يشمئز جبران من ذكرها وينقم على ناشريها. فيصور يسوعه ثائراً يتطلب الحرية المطلقة، ومحباً والهاً يحيا بالعاطفة الايجابية.

وعلى هذا الوجه نظم قصيدته التي تغنى بها في آخر الكتاب بمزايا البطل الذي اراد تخيله باسم «ابن الانسان» فامتدح به سجاياه المختارة وافاض من شآبيب قلبه انشودة رائعة وجهها اليه تحت عنوان «رجل من لبنان: بعد تسعة عشر قرناً.»(٢ وما هذا الرجل سوى جبران نفسه يلخص عواطفه وافكاره التي سكبت بين طيات الكتاب.

١) يسوع ابن الانسان، ص٦٣–٦٤

٢) يسوع ابن الانسان، ص ٢١٦–٢٢٤

الامير حيدر احمد الشهابي

وتاريخه

الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان

يُعنى الاديبان الدكتور اسد رستم احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية، وفؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف، بتحقيق نصّ تاريخ الامير حيدر الشهابي وطبعه طبعةً علميةً ستظهر قريباً بعنوان «لبنان في عهد الامراء الشهابيين» مؤلفة الحلقة الاولى من منشورات مديرية المعارف التاريخية. وقد بذل الاديبان الجهود الجمّة في درس مخطوطات التاريخ المتعددة والتنقيب عن النسخ الراقية الى عهد المؤلف. وعرضا نتيجة ابحاثهما في مقدمة صدّرا بها القسم الاول من التاريخ المذكور. فرأينا اطلاع القرّاء الكرام على زبدة ذلك آخذين لهذا العدد ما يخصّ الامير المؤرخ، وللعدد القادم ما يظهر من مزايا تاريخه الكبير، شاكرين للحكومة اللبنانية عنايتها باظهار ما يُعد من خير الاصول العربية لتاريخ لبنان.

١

مصادر البحث

نأسفُ انه لم يتصدَّ لترجمة هذا المؤرخ اللبناني ترجمةً مفصّلةً مطوّلةً أحدٌ من معاصريه. ونأسف ايضاً ان لا يكون لدينا من المصادر الاوليّة لهذه الغاية سوى هذا الكتاب الذي نحن بصدده الآن، وما ورد عن الامير ومؤلَّفه في كتاب «الساق على الساق» لاحمد فارس الشدياق. ولا يخفى ما كان في قلب احمد فارس من الحقد على امراء لبنان، وعلى الكنيسة المارونية في ذلك العصر. ولذا نرانا مضطرّين ان نتحفظ التحفظ التام في قبول شهادته على الامير المؤرّخ.

والنقد التاريخي الحديث يضطرنا ايضاً ان لا نقبل روايات الشعراء المعاصرين الّا اذا توافر لدينا من شهادات غيرهم ما يزكيها فيعزز ما بها من حقيقة، ويزيل عنها صبغتها الشعرية الخيالية من حيث التطرّف في المدح، والافراط في الاطناب، والاقتصار على ذلك في غالب الاحيان.

هذا وقد ورد شيء عن الأمير حيدر في المجلد العاشر من «دائرة المعارف»

العربية للبستاني . الّا اننا نعتقد انه ليس للمعلم بطرس البستاني ، صاحب الدائرة ، بل لشاكر شقير ، معاونه في العمل . وذلك بدليل ما نقله الينا الاستاذ العلّامة عيسى افندي اسكندر المعلوف من انه رأى بيد شاكر شقير مسودة المقال ذاته ، وان شاكرًا المذكور نسب هذا المقال لنفسه[1] . ولا يخفى ان المعلم بطرس البستاني توفي قبل اكمال المجلد السابع من دائرته ، وان اولاده تولوا العمل بعده واكملوا المشروع الى نهاية المجلد الحادي عشر[2] . ثم ورد شيء عن مؤرّخنا ايضاً في تاريخ الرهبانية الانطونية المارونية ، وهو للاب عمانوئيل البعبداتي الذي توفي منذ عهد قريب .

فترانا الان مُرغمين على الاكتفاء بهذه الروايات المتقطّعة الضئيلة ، محاولين الى حدّ ما ازالة هذا الاضطراب من بعضها ، حتى نتمكن من نسجها وتقديمها للجمهور بصورة كاملة .

ونحن ، وان جرحنا بعض هذه الشهادات ، لا يفوتنا في الوقت ذاته أنّ ما ورد في كتاب الامير من الاشارة الى نفسه هو على جانبٍ من الاهمية ، اذ انه على الاقل كلام المؤلّف عن نفسه . وكذلك ما ورد في كتاب « الساق على الساق » فانه لاحد كتّاب الامير المؤرّخ ، ان لم نقل لمعاونه في التأليف ، كما اشار الى ذلك جرجي زيدان في مجلة الهلال[3] . ولا يخفى ما لكلام شاكر شقير من الاهمية ايضاً اذ انه شويفاتي الاصل قريب من كفرشيما ودير القرقفه ، وقد عرف اليازجي الكبير ، والمعلّم بطرس البستاني وغيرهما من معاصري الامير المؤرّخ ومعاونيه . ويقول الاب عمانوئيل البعبداتي في كتابه المشار اليه آنفاً انه اخذ ما رواه عن الاب يوسف البعبداتي الذي تقيَّد بخدمة الامير الروحية[4] . هذا هو المهم من مصادرنا فلنرجع الآن الى الامير وترجمته .

١) تخصص شاكر شقير لجمع المواد العربية لدائرة المعارف البستانية ، ولهذا نرى تحت اسمه ، في بعض كتبه المطبوعة ، هذه العبارة : «المساعد في دائرة المعارف العربية» ، كما حقّق الاستاذ المعلوف .

٢) اطلب تاريخ ظهور هذه الاجزاء على ديباجاتها ، وراجع تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس ٧ : ٧٣٤–٧٣٥ .

٣) مجلة الهلال ١٠ : ٦٦ ٤) تاريخ الرهبانية الانطونية ، ص ٤٢٢

ترجمة الامير

نسبه ووطنه

هو الامير حيدر ابن الامير احمد ابن الامير حيدر الشهابي الحاكم المشهور[١] وُلِدَ في ٢١ شباط سنة ١٧٦١ (١١٧٤ هـ) في دير القمر على الارجح ، او في قرية المعاصر التحتا المعروفة اليوم بمعاصر بتدين ، في جوار دير القمر[٢] . وتوفي في دير القرقفه سنة ١٨٣٥ (١٢٥١ هـ)[٣] . وكان في حياته كثير التنقل في انحاء لبنان تارةً يقيم في دير القمر ، وطورًا يجول في مناطق الشوف والمتن ، اذ كان يكلفه الامير بشير الكبير بعض المهامّ الادارية والحربية ، او يقوم هو نفسه بشؤون سياسية كان من شأنها ، على الغالب ، ان تؤول الى الخير العام واصلاح ذات البين بين الامير ومن كان يغضب عليهم من رجالات البلاد ، كما سيأتي . اما مركزه فكان قرية شملان ، ولا تزال فيها آثار داره . وفي سنيه الاخيرة كان يقضي فصل الشتاء في دير القرقفه في كفرشيما ، حيث كان قد بنى جناحاً خاصاً لسكناه ، على ان يعود للدير بعد وفاته . وهكذا كان .

ابناؤه

رُزق الامير خمسة اولاد ذكور توفوا صغارًا فدفنهم في شملان في قبة بناها لهم لا تزال آثارها ظاهرة الى اليوم ، وهي في اعلى القرية ، بالقرب من طريق العربات . وقد اشار في تاريخه الى ابنة له كان قد خطبها الامير سعد الدين ابن الامير يوسف الشهابي فمنعه الامير بشير الثاني عن الزواج بها ، وزفها الى ابنه الامير امين[٤] . ويقول بعض العارفين اليوم ان والدة الامير عباس كنج كانت احدى بنات الامير حيدر ايضاً .

---

١) Fleischer, *Über das syrische Fürstenhaus der Banu Schihab.* [Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft V, 46-59.]

٢) اطلب في ذلك تاريخ الامير نفسه ، ص ٥٤ من طبعتنا . « والجواب على اقتراح الاحباب » للدكتور ميخائيل مشاقه – مخطوطة جامعة بيروت الاميركية ، ص ٢٥

٣) اخبار الاعيان للشيخ طنوس الشدياق ، ص ٦٢

٤) عيسى اسكندر المعلوف : الامير حيدر الشهابي – في مجلة « الكلية » ١١ : ٢٢٢–٢٢٤

اخلاقه وصفاته

وكان، على ما يظهر من كلام الشيخ طنوس الشدياق، ابيض اللون، جميل الوجه، طويل القامة، عبل الجسم[1]. وبشهادة خصمه، كان «حليماً يحبّ السلم والدعة»[2]. ويقول شاكر شقير انه كان كريماً وقوراً محبوباً من الناس، ومحباً للفقراء[3]. ويظهر من القسم الاكبر من المصادر انه كان ديّناً تقيّاً متمسّكاً بمذهبه الماروني، محبّاً للرهبان والاكليروس. فقد ورد في «الساق على الساق» انه نظر يوماً في بعض الكتب هذا البيت وهو:

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها افاويقَ حتى ما تدرُّ لنا ثَعْلُ

« فظنّ انه تعريضٌ بهم وتلميحٌ اليهم، فأمر باحراقه فأُحرق وذُرّي رماده.»

وورد ايضاً في الكتاب نفسه ان الامير رأى يوماً آخر بيتين من الشعر فيهما تعرّض للرهبان، « فأمر ايضاً باحراق الكتاب، وبعث جواسيس في البلد يتجسّسون عن مؤلفه ونودي في الروابي والوهاد ألا من دلّ على مؤلف كتاب كذا فانه يجزى احسن الجزاء، ويرقى الى رتبة سنيّة.»[4]

ومما نقله الينا الاب عمانوئيل البعبداتي، عن معلّم ذمة الامير المؤرّخ، أن الامير حيدر لم يكن يفتر عن سماع القداس يومياً؛ وانه كان يسمع القداس الالهي يوماً ما، ولدى انتهائه بُدئ بقداس آخر، فثبت الامير يسمع القداس الثاني. وعند نهايته خرج من الكنيسة، فاعترضه اميرٌ من اقاربه قائلاً: ألا يكفي قداس واحد، والكنيسة تأمر باستماع القداس نهار الاحد والعيد الواجبة بطالته؟ فاجابه الامير بانس ودعة: ان الكنيسة أمرت كما قلتَ لكنها لم تنهَ عن استماع القدّاس كل يوم مَن كان في امكانه تتميم هذه العبادة. ثم اجابه عن استماعه قداسين بما نصّه: « اذا كنت يا صاحِ في الصيد، واتاك رفُّ حجل فاقتنصته، ثم أتاك رفٌّ آخر ألا تقتنصه؟ فكم احرى اننا

١) اخبار الاعيان، ص ٦٣ . ولعلّ الفارياق اورد كلمة «أُخزُقَّة» في وصف الامير حيدر لمجرّد الذم فقط . (الساق على الساق (طبعة اوروبة)، ص ٢٧)

٢) الساق على الساق، ص ٢٧ ايضاً .

٣) البستاني : دائرة المعارف، ج ١٠ : المقال «شهاب : الامير حيدر احمد»

٤) الساق على الساق، ص ٢٩

نصطاد الكنوز الثمينة بواسطة حضورنا القداس الالهي الذي منه نكتسب كثيرًا لا يفنى . »[1]

وقد اشتهر مؤرخنا بإنفاقه على الرهبان ووقفه الاملاك الكثيرة لهم . وهذا أمر تاريخي ثابت بدليل الصكوك الشرعية التي لا تزال محفوظة حتى اليوم في بعض الاديرة اللبنانية كدير السيدة في شملان ، ودير مار جرجس الشير في بمكين ، ودير مار انطونيوس القرقفه في كفرشيما ، ومقرّ البطريركية المارونية في بكركي . وجاء في تاريخ الرهبانية الانطونية المشار اليه آنفاً انه وقف لدير الشير اوقافاً جزيلة من جملتها قنديل كبير من الذهب الخالص ، وانه وقف كرم زيتون لاجل مصروف هذا القنديل . ولا يزال رهبان هذا الدير مع رئيسهم العام يكرّرون الترحّم عليه حتى الساعة هذه . ومما يثبت تديّنه ويدوّن تقواه وصيّته الاخيرة ، والمفاوضات الاكليريكية التي تبودلت بشأنها والتي لا تزال محفوظة في خزانة البطريركية المارونية الى يومنا هذا . ويظهر من الوصية وتوابعها انه اراد ان يموت في حضن الكنيسة المارونية التي عاش وتربّى في ايانها ، وانه اوصى بان يوزّع عن نفسه مائة وخمسون الف قرش على جميع الطوائف الكاثوليكية شرقية كانت ام غربية .

مواهبه الادارية والسياسية

وكان محبًا للسلام رفيقًا بالجميع . فالمعمّرون من شملان اليوم يقولون ان التلاحقة قدّموا له شملان جزاء توسّطه في أمرهم ونجاحه في الحصول على عفو الأمير بشير عنهم . وهو الذي شفع للامير عباس ، وتوسّل بالامير فاعور والامير أمين علي لدى الامير الكبير . ومما يتّضح من مطالعة تاريخه وكتاب «اخبار الاعيان» للشيخ طنوس الشدياق انه انتُدب مرارًا للاعمال السياسية والادارية والحربية . مثال ذلك انه أرسل سنة ١٧٩٠ الى قرية كفرسلوان لاحراق منازل بني حاطوم[2] . ويقول هو عن نفسه انه لما وُلّي مباشرة الشوف سنة ١٧٩٤ أظهر في تلك الظروف الحرجة من الدراية والحكمة ما

١) الاب عمانوئيل البعبداتي : تاريخ الرهبانية الانطونية ، ص ٤٢٣-٤٢٤

٢) اطلب تاريخه ، ص ١٦١ من طبعتنا

استوجب له ثناء الجميع ، فقيل : « لو كان غير هذا الامير في مباشرة الشوف لكان تلاشى واضمحل من افراط الظلم والجرايم لكن الامير المذكور ارقى اناس كثيرين وحفظ عدة مواضع وذلك لهمه الوفيه ومناقبه الحميده.»[1]

وقد اشار ايضاً في تاريخه هذا الى مواقفه الحربية في قب الياس وساحل بيروت وغيرهما . ولما فرَّ الامير بشير اولاً الى عكار ، وثانياً الى حوران ، كان مؤرّخنا برفقته . ولعلَّ شاكر شقير مصيب حين يقول ان الامير المؤرّخ لم يكن له طمع في الجاه ، وانه انتُخب مراراً للولاية فرفض وآثر بقاء الامير بشير[2]. وفي زجلية طويلة ، محفوظة لدى الاستاذ المعلوف ، في حروب الامير بشير ، لابي ابرهيم درويش بن مرعي القاري ، قوله :

وبعد هذا صارت الحركة تزيد قالوا « ابو سعدى » حاكم لا نريد
تعالوا ننتخب لنا حاكم جديد فنادوا باسم الامير حيدر شهاب

هذا ومن يُنتدَب لاعمال ادارية سياسية حربية ، ويُنتخب مراراً للولاية فيرفض ، يُستبعد ان يكون « على جانب عظيم من التغفّل » ، كما يقول احمد فارس في كتابه المشار اليه آنفاً[3].

بعض ملاهيه – ولعه بالتاريخ

كان الامير حيدر مولعاً بالصيد ومقاتلة الادياك ، وبالتاريخ . فالاستاذ المعلوف يقول ان معتري شملان وغيرها الذين عاصروا الامير حيدر رووا انه كان مولعاً بالصيد متفرغاً له[4]. وقد حدثنا جرجس بك صفا قال : « اخبرني رستم باز قال : كنت منذ حداثتي مولعاً بتربية الدجاج ومقاتلة الادياك . وكان مولعاً مثلي بهذين الاميرين الامير حيدر احمد الشهابي . فكنت اجلب ادياكي من دير القمر الى شملان لاجل مقاتلة ادياك الامير . فيوم اربع ويوم اخمس.»

واكبر دليل على ولعه بالتاريخ اثره هذا الذي نعنى بنشره الآن وسنقول عنه كلمة في العدد القادم

١) اطلب ذلك في الصفحة ١٧٨ من طبعتنا
٢) البستاني : دائرة المعارف : المقال نفسه
٣) الساق على الساق ، ص ٣٧–٣٨
٤) عيسى اسكندر المعلوف : الامير حيدر احمد الشهابي – في مجلة «الكلية» ١١ : ٢٢٣

الفقه الاسلامي

تاريخه وتطوّراته

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٤

التعليم الحي

تؤكد النظرية ان الشريعة تشتق مباشرة من القرآن ومن الحديث النبوي. فيكون من الضروري اذاً ان العلماء والمؤمنين يبدأون ، في رأس واجباتهم ، بدرس هذين « الاصلين » للعقيدة الاسلامية . على ان الواقع يختلف عن هذا ، حتى في نظر اشدّ المفكرين استقلالاً بالرأي كالظاهري ابن حَزم († ١٠٦٤) والحنبلي ابن تيميّة وامثالهما ممّن يدعون عدم التقيد الّا بالقرآن والسنة. ويكفينا الاشارة الى ان ابن حَزم يُغدق الشتائم وافرة على مؤسسي المذاهب السنّية ، ويترك مذهب الشافعي متخذاً مذهب الظاهرية ، ثم لا يلبث ان يُعلن انه لا يتعلّق الّا بنفسه . اما تلاميذه ومريدوه فيتسمّون « بالحزميّة » . بيد ان الفعل الواقع يظهر ان المقياس الحقيقي لحلّ المشاكل الدينية لا يستند الى ظاهر الآيات القرآنية ، ولا الى مضمون السنّة ، بل الى تأويل التعليم الحي القائم بشخص العلماء . فليس للقرآن والحديث ، بعد هذا ، الّا قيمة النصوص الدينية يطالعها المؤمن على سبيل الفائدة والغذاء الروحي. فلا يدرس آياتها ولا يناقش شروحها ولا يسأل نفسه هل تقدّم تفسيرها ام لا منذ ثلاثة عشر قرناً.

هذا ومن المتّفق عليه انه ، منذ القرن الرابع للهجرة ، «أُغلق باب الاجتهاد». وعليه فقد دُفع العلماء والمؤمنون جميعهم الى «التقليد» او الخضوع الاعمى ، دون تحفّظ ولا احتياط ، لمقرّرات احد المذاهب الاربعة السنّية. وقد وافق ختام القرن الثالث الهجري تأسيس هذه المذاهب ، وجَمع كتب الحديث الستة للبخاري

ومسلم ومن اليهما ، كما انه وافق اقرار العقيدة التقليدية التي لم تلبث ان قبلت نظرية الاشعري في التوحيد فاقرتها هي والحلول المتوسطة التي عُرف بها المذهب الاشعري. ثم ان هذه القرون الثلاثة الاولى مكنت الاسلام من ملابسة المحيط الخارجي في المناطق التي احتلها ، فاستفاد منه العناصر الضرورية لتطوره العقائدي والقضائي . ولم يلبث ان تبنى هذه العناصر المستعارة ومسحها بسلطة النبي ، عارضاً اياها باسمه وباسم كبار الصحابة كالخليفة عُمر وامثاله . ثم أقرّ ان المشاكل المهمة جميعها قد نوقشت ووضعت حلولها في تعليم المذاهب الاربعة .. وهذه هي الظاهرة التي سماها الاستاذ ميز (A. Mez) ، المستشرق السويسري « بنهضة الاسلام » ، فاساء في اختيار التعبير ، اذ ظنّ فيها ظهور اسلام جديد.

الاجتهاد

ليس الاجتهاد — او « الاجتهاد المطلق » كما يحدّد البعض — « ذاك الحقّ الذي يخوّل صاحبه ان يسدّ ثُلم القرآن والحديث بواسطة انوار العقل وحدها » كما يدّعي كازانوفا . انما الاجتهاد يقوم بدرس « اصول » الوحي القرآني درساً نقدياً ، ومناقشتها في ما خصّ علاقتها بالعقائد وبنظام السلوك الديني . وهو الحقّ الذي يخوّل صاحبه تخطّي تعاليم المذاهب السنية وآراء مؤسسيها الائمة الاربعة مالك ، والشافعي ، وابي حنيفة ، وابن حنبل ، الى تأليف شرح جديد وابداء رأي حديث يرتكز على فهم نصّ القرآن ومضمون السنة فهماً جديداً ادقّ من الفهم السابق . وذلك بفضل درس هذه النصوص درساً نقدياً ، كما يُدرس اي نصّ كان ، وبفضل كون المجتهد لا يتوقف عند التأويل المتداول والشروح التقليدية . فهو يتعمّق اكثر ممّن تقدّمه في فهم معنى الشريعة الحقيقي ويستخرج من ذلك نتائج عملية وعقائدية جديدة . فدوره دور خلق وابداع ، لا دور تقليد وتعليق . على ان هذا الحقّ بالارتقاء الى اصول الدين الاولية ، يعتبر الاسلام ان الاجيال المتتابعة في الثلاثة القرون الاولى للهجرة قد قامت به حقّ القيام حتى انها استخرجت كل ما يمكن استخراجه بواسطته دون استثناء. واذاً فلا من مبرّر اليوم لان يعاد النظر في قرارات مرّ عليها الاجماع المتوالي

مدة القرون العديدة. واذًا فقد أغلق باب الاجتهاد المطلق، ولم يبقَ الا الاجتهاد النسبي. وهو الاهتمام بحلّ بعض المشاكل الثنوية مما لم ينتبه له القدماء، والحقّ بشرح التأويلات الخاصة بكل من المذاهب الاربعة، وترتيبها، وتجديدها، بعض الاحيان، بايجاد تطبيقات جديدة لها.

وان اعظم ما يمدح به عالم هو القول انه «ادرك درجة الاجتهاد». وقد قيل عن بعضهم انهم كانوا مجتهدين يستغنون عن التقليد. من هؤلاء كان داود ابن علي مؤسس المذهب الظاهري، وابن تيميّة، وابن قيم الجوزية، والسيوطي، ومؤسس مذهب الوهابية، وغيرهم.

اما العلماء فيحصرون اهتمامهم بدرس مقرّرات السلف، المجموعة في كتب وملخّصات معروفة مستعملة والمرتّبة على ابواب وفصول لا يمكنهم تجاوزها. وانما يجتهدون في التعليق على تلك المتون، دون ان يرقوا الى «اصلي» الفقه الاوّلين اي القرآن والسنة اللذين عوّضت عنها هذه المتون. ثم ان العالم الفقيه لا يتجاوز في تعليقه الآراء التقليدية، ولا يجرأ على اصدار رأي شخصي الّا في قليل من النقاط الثنوية لم يتفق عليها مؤلفو تلك المجاميع المدرسية. وقد لا يخرج هذا الرأي نفسه، غالباً، عن محاولة التوفيق بين الحلول المتباينة. ثم تتكاثر هذه التعاليق وتتضاخم حتى انها تقوم اخيراً مقام المتون السابقة في التعليم، فتفرض بدورها تعاليق جديدة وحواشي ضافية تتحوّل هي ايضاً الى متون فارضةً الحواشي والتعاليق، وهكذا دواليك! على ان جوهر الموضوع لا يتغيّر، ولا يتأثر بشيء من هذه الجهود في الشرح والتعليق.

فيكون من ثمّ ان التعليم ينحصر بعمل انتخابي من هذه المجاميع الضخمة. فهو يقوم بقراءة احد هذه النصوص على احد العلماء، فيعلّق هذا، من حين الى آخر، على ما يُقرأ عليه شيئاً من الشروح اللغوية والقضائية يلخّصها من شروح سلفائه. وان هذا المظهر وحده يكفي للدلالة على الحدود الضيقة التي تحصر ضمنها «الاجتهاد النسبي». وعلى ما تقوم به نظرية «التقليد» من فرض التقيّد الكلي بآراء المذاهب المقرّرة، ومن التضييق الشديد على التطوّر العقائدي وعلى تقدّم الاسلوب النظري في الدين الاسلامي. على ان اغلاق باب الاجتهاد لم يخلُ

من اثارة بعض احتجاجات قام بها « العصريون » من المسلمين ، فرأوا في ذلك « جريمة اقترفها العلماء على الاسلام باسم الدين » . وكان غيرهم من المتحفظين قد اخذوا على العلماء انهم بالغوا في اعتبار الائمة من البشر ، وان كانوا من امثال ابي حنيفة والشافعي ، حتى تناسوا في ذلك اعتبار القرآن والسنة . وقد فات جميع المحتجين انه ان كان الاسلام قد تمكن من مقاومة الزعازع الكثيرة التي اصابته ، فان الفضل في ذلك يعود الى « اغلاق باب الاجتهاد » . وان كان الاسلام قد عاش محافظاً على حياته العقائدية القديمة ، فذلك لانه عاش حياة بطيئة سليمة ، بعيداً عن المناظرات والمناقشات التي كان من شأن الحرية ، لو وُجدت ، ان تثيرها عنيفةً هوجاء دون شكّ .

لا مجامع في الاسلام

لقد انتقد الشيعيون نظرية « الاجماع » فبيّنوا ما يكتنفها من ضعف واضطراب ، كما انهم بيّنوا ما في « التقليد » من حطّ للآراء والافكار الشخصية . على انهم قرّروا مبدئياً ، في اوساطهم التعليمية ، عجز العقل البشري ، عجزاً اساسياً ، عن ادراك الحقيقة المطلقة في ما خصّ الامور العقائدية . فاستبدلوا « بالتقليد » الذي تقليدهم هم واقاموا تجاه « الاجماع » المضطرب المتفاوت ، اداةً رسميّة دائمة لمعرفة الحقيقة . وليست هذه الاداة الا الحكم المعصوم الذي يصدره امامهم المستور . وهم يؤمنون ان هذا الامام المنتسب الى عليّ مطّلع على تأويل القرآن الحقيقي الذي وصل اليه من سلفائه اباً عن جدّ ، وقد وصل اليهم من علي نفسه صهر النبي . ويدعو علماء الشيعيين انفسهم « بالمجتهدين » ، معتبرين ذواتهم مفسّري الشريعة الاحياء ، واعضاء الامام العلوي المستور ؛ وبهذه الصفة يشتركون معه بالعصمة . وعليه فليس في الشيعة الامامية من مجال للمذاهب المختلفة ولا لتباين الآراء ، فهي لا تقرّ الا مبدأ السلطة .

ويجب ان نذكر هنا ان ليس « الاجماع » عند السنّيين ، كما قد يخاله من يقابل بين الاسلام والنصرانية . فليس في الاسلام نظام ديني متدرّج من واجبه ان يسهر رسمياً على مستودع الوحي القرآني . ولا نرى احداً ، مدة الثلاثة عشر

قرناً ، قام بفكرة استفتاء جمهور المؤمنين ، او عقد مجمع عام في سبيل درس المشاكل المختلف عليها . أوَ لا يمكننا ان نرى في ذلك ان مناقشةً من هذا النوع تخالف تكوين الاسلام نفسه ؟ وفضلًا عن ذلك فان هذه الفكرة ، لو حاول المسلمون تحقيقها ، لاعترضهم ما يتمتع به كل من المذاهب الاربعة من الاستقلال النوعي ، وعدم الانقياد لمقررات مثيله . ثم ان ما قد يقرّره مجمع عام ، على فرض امكان حدوثه ، يكون مستنداً بالطبع الى مبادئ احد هذه المذاهب ، فيكون من ثمّ عاجزاً عن بسط هذه المقرّرات على تابعي سائر المذاهب .

وهناك ما هو ادلّ من هذا على بُعد الاسلام عن الاخذ بالمجامع العامة . وهو انه ، حتى في البلاد الخاضعة لمذهب واحد ، لم يبدُ في خلد احد من العلماء المنتمين جميعهم الى هذا المذهب ان يدعوا الى عقد مجمع خاصّ يتناقشون فيه معاً بشأن بعض المسائل المهمّة . وذلك ان ليس منهم من يجوّز لنفسه الادعاء بالوصول الى الاجتهاد « المطلق » . ولا يجرح هذا الرأي ما يصدره احياناً علماء الجامع الازهر ، احد معاقل الشافعية ، من القرارات الجامعة . فان هؤلاء يعتبرون انفسهم متكلمين باسم الشافعية ليس غير ، حتى اذا نسوا ذلك او تناسوه قام من تبّاع سائر المذاهب من يذكّرهم به . وعليه فيكون من التجديدات المهمّة الخطيرة النتائج ما سمعناه مؤخراً من ابراز مشروع يرمي الى عقد مجمع اسلامي عالمي يكون من ابحاثه حلّ مشكل الخلافة والعمل على مداواة الغائها .

يعيش الاسلام مستنداً الى حكم مسلّم به حتى لا يحتاج الى برهان وهو ان في القرآن والسنة جواباً عن كل شيء . واذاً فما الفائدة من الاجتماع والمناقشة ولدى المؤمنين كنز التفسير الصحيح ومجموع مقرّرات الائمة القدماء الذين فكروا بكل شيء . ؟ أوَ ليس للعلماء ان « يحلّوا ويعقدوا » ؟ واذاً فهم يستعيضون بانفسهم عن « صوت الشعب » وعن المجامع العامّة . وعليه فقد قُرّر مبدئياً ان الطريق التي اختطّها وسلكها قدماء الائمة هي الطريق المثلى ، وان تعليمهم الصريح ، بل سكوتهم احياناً ، له مفعول القواعد الاساسية ، وان من غير الممكن ان تُعاد المناقشة على نقاط ضمنها اتفاقهم العام .

وقد قامت حركة الوهّابيين في القرن الثامن عشر على هذه الطريقة السنية

في فهم « الاجماع » ، فنادوا بتخليص الاسلام ، والعود به الى طهارته الاولى . ولقد كان هؤلاء المجددون ، الذين نشأوا في بلاد العرب المتوسطة ، على حق في ما خصّ بعض المسائل الثنوية ، كما تُظهر ذلك مناظرات سابقهم الشهير ابن تيمية . الّا ان خطأهم كان بانهم ارادوا حصر الاجماع في حدود زمنية ضيقة جداً ، فشاؤوا ان يجعلوه لا يتجاوز عصر الصحابة واول التابعين . كما انهم انكروا كل عمل متأخر عن ذاك العصر من شأنه ان يكيّف الاسلام ويبلّده في الاقاليم التي احتلها،وعملوا على وضع حدّ للتطوّر العقائدي والنظامي وهو من الامور التي فرضها انتشار الاسلام. فكان مثلهم مثل رجال الكنيسة الرومية الشرقية الذين لا يقبلون الا تحديدات المجامع المسكونية السبعة الاولى. فضلاً عن ان الاسلام ، لو وافق على مزاعم الوهّابيين الضيّقة ، لأقرّ ضمنياً ان الجماعة الاسلامية قد اتفقت على ضلال مدة اكثر من الف سنة ، وهو ما ينادي به الوهّابيون.

العلماء والقضاة

جاء في الحديث ان «العلماء ورثة الانبياء». فاليهم يعود حقّ الشرح والتأويل. واليهم يلجأ المؤمنون في شكهم ، ومحاولتهم حلّ بعض المشاكل الضميرية ، او تحديد نقاط من العقائد تحتمل المناقشة . يسألون العلماء عن ذلك كلّه فيجيبهم هؤلاء باجوبة مكتوبة يستندون فيها الى القرآن ، والسنة ، ومبادئ احد المذاهب الاربعة ، ثم الى الاجماع . وتدعى هذه الاجوبة فتاوى . اما قيمة الفتوى بالنسبة الى سلوك المؤمنين فتختلف باختلاف قيمة الادلة المستندة اليها. واذا كلّف واضعو هذه الفتاوى القيام رسمياً بمهمة افتاء المؤمنين ، فانهم يدعون «مُفتين». وهم يمثلون الشرع الاستشاري ، ويحتلون مركزاً خاصاً في مجموع العلماء.

وقد كان الرئيس الاعلى لجميع العلماء والمفتين في السلطنة العثمانية يحمل لقب «شيخ الاسلام». وهو لقب كثيراً ما أُعطي في العصور الماضية للفقهاء المشهورين، اجلالاً لهم . اما في تركية فكان « لشيخ الاسلام » المركز الاول بعد الوزير الاكبر او «الصدر الاعظم». وكان يقوم بمهمات وزير الدين جميعها. وقد اخذ هذا الموظف التركي، على عهد عبد الحميد ، يخاطب العالم الاسلامي بكامله متأثراً في

ذلك بفكرة الخلافة العالمية . فكانت صلاحيته اوسع من صلاحية السلطان ـ الخليفة نفسه في ما خصّ الشؤون الدينية . على انه لما كان للسلطان ان يعيّنه ويعزله عندما يشاء ، كان للسلطة ضمانة كافية تكفل لها عدم تجاوزه الطاعة والخضوع . وقد الغى الكماليون هذا المنصب سنة ١٩٢٤ واستبدلوا به « دائرة للشؤون الدينية » .

اما القاضي فهو ايضاً منتخب من بين العلماء ، مختصّ بصلاحية شرعية واسعة . وقد تحققنا سابقاً وجود ازدواج في الصلاحية القضائية في كثير من البلاد الاسلامية ، كما تحققنا جهود بعض الدول الاسلامية ومحاولاتها العديدة في تجديد بعض اقسام الفقه ، وجعلها موافقة لروح العصر . وهكذا كان في السلطنة العثمانية ، الى جنب شيخ الاسلام وهو المرجع الاعلى لجميع القضاة ، مركز آخر يحتلّه ناظر العدلية فيضيّق كثيراً صلاحية « مشيخة الاسلام » . اما تركية الجمهورية فقد قلبت الفقه الاسلامي رأساً على عقب في بعض اجزائه وكادت تقضي على صفته الدينية . ثم قامت الحكومة المصرية نفسها بتحوير بعض الاحكام الفقهية في ما خصّ الاحوال الشخصية .

والقاضي يبني احكامه على مبادئ الشرع وحده ، متجاهلاً التغييرات او الاصلاحات التي تقوم بها السلطة المدنية . واما الموادّ التي تشملها صلاحيته فهي كلّ ما اقرّ فيه القرآن احكاماً خاصة كشؤون الاحوال الشخصية ، والوراثة ، والاوقاف وما اليها . وقد ألحقت امور الاوقاف الحاقاً باحكام القرآن الخاصة بالزكاة والاحسان ، وهو ما برّر جعلها من صلاحية القاضي . وفي الحقوق الجنائية تنحصر صلاحية القاضي في تطبيق « حدود الله » ، وفي جميع الدعاوى التي تحيلها اليه السلطة المدنية . وهو لا يقبل في محكمته الا الشهادة الشفهية .

هذا وقد حاولت الحكومات الاسلامية ، في كل عصر ، ان تحصر صلاحية القاضي وتضيّقها خاصة في موادّ الحقوق الجنائية . فهي لا تكتفي بصلاحية تنفيذ احكامه ، بل تحتفظ ايضاً بحق الموافقة على جميع الاحكام الصادرة من المحاكم الشرعية التي يرئسها القاضي .

(للبحث صلة)

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

نيسان

نيسان من اصل بابلي ومعناه في العبرية: « الزهر » و« الاسبال » و« السبل الاخضر » . سمي كذلك لان الازاهير والزروع تظهر فيه ، وقيل انه مركب من كلمتين فارسيتين : « نو » و« اسان » ومعناهما: « اليوم الجديد » اشارة الى تجدد الطبيعة فيه بمناسبة الربيع ، يقابله من اشهر الفرنجة « اڤريل » من لفظة لاتينية معناها: « الافتتاح » او « الابتداء » ، ولعلهم اطلقوها عليه لان الارض تفتح فيها احشاءها وتخرج النبات ، او لانه كان عند بعضهم زمن مفتتح السنة او مبتدأها . خصه الاقدمون بالالهة « ڤنوس » آلهة الحب والجمال والمعروفة عند العرب بالزهرة وجعلوا بعض ايام من اوله اعياداً لها ، وصوره الرومانيون بشكل رجل يرقص بين العازفين ، وكان الشهر الثاني من سنتهم المبتدئة باذار . اما الفرنسيون فكان عندهم في الاجيال الوسطى مطلع السنة الى ان نقله ملكهم شارل التاسع في السنة ١٥٦٤ الى اول كانون الثاني ، ومن ثمّ تابعهم الناس على ذلك الى يومنا . ويقولون ان هذا النقل كان اخصّ الاسباب في « كذبة اول نيسان » المعروفة ، لان القوم لما كان هذا الشهر مطلع السنة كانوا يتهادون فيه ويتعايدون ، فلما نقل الى كانون الثاني صارت معايداتهم فيه مزاحاً ودعابة وهداياهم وعوداً فارغة واكاذيب ، فجرى ذلك عادة عندهم كل عام ، وانتقلت هذه العادة منهم الى غيرهم الى ان اتصلت الينا ، اما « سمك نيسان » فالمقول فيه انه مأخوذ عن « برج الحوت » او « برج السمك » كما يدعى في لغاتهم وهو البرج الذي تنتقل منه الشمس في هذا الشهر .

يكون نيسان عادة في لبنان ذا جو صافٍ يكثر فيه الصحو وقد تشتد الحرارة فتظهر الدبابات والهوام من مخابئها والطيور من اوكارها ، ويخرج الناس الى

الحقول لتعهد الاشجار بالشذب والارض بالحرث والكل فرح مسرور بادبار الشتاء وباقبال الربيع . ومن اقوال العامة في ذلك :

« في نيسان تدخل الشمس برج الثور ، وتخلع على الدنيا ثوب النور » .

وقولهم : « في نيسان اطفِ نارك ، وافتح شبابيك دارك ، واسبح في الشمس لزنارك » .

وقد يشتد البرد في نيسان بعض السنين وتتساقط الامطار والثلوج ، على ان ذلك نادر . وقد حصل مرة في احدى السنين ان نزلت ثلوج في نيسان غطت اكداس الحطب والجرزون ، فقالوا في ذلك عبارة ما برحوا يرددونها كل عام ، متى جاء نيسان ، على سبيل الذكرى وهي : « لا تتعجب يا انسان ، في نيسان ، جرفنا الثلج عن الكدسان » وهذه الاكداس من الحطب يقطعونها في آذار ويحفظونها في الحقل ريثما تيبسها الشمس فينقلونها الى المنازل للانتفاع بنارها في الشتاء القادم ، ولكنهم ستئنذٍ اضطروا الى نقلها في نيسان ، بسبب ما حصل عندهم فيه من البرد الشديد ، الذي لم يكونوا بانتظاره ولا اتخذوا العدة لاتقائه .

ويروى ان الثلوج تساقطت سنة اخرى في نيسان فغطّت المراعي ، وكان العلف المدّخر للشتاء قد نفد فتعذّر على الفلاحين ان يجدوا ما يغذون به ماشيتهم ، ثم ان بعضهم كانوا شذبوا كرومهم فجاءوا بجرزونها للماشية علفاً فاكلت وعاشت ، ولكن البرد اضر بكرومهم اذ تعرت بالشذب فيبست ، اما الذين لم تشذب كرومهم فقد سلمت لانها لم تتعرض للبرد كالاولى ، ولكن ماشيتهم لم تجد ما تأكله فهلكت ، فقالوا في ذلك عبارة ما برحوا يرددونها كلما سقط الثلج في نيسان او خيف من تساقطه ، من باب التمثل ، وهي : « ما قلنا راح آذار وهدراته ، حتى اجانا نيسان بثلجاته ، فالذي شحّل كرماته ، ربح بقراته ، وخسر كرماته ، والذي ما شحّل كرماته ، خسر بقراته ، وربح كرماته » .

ولا يخفى ان هذه الرواية على سذاجتها وايجازها تروي حادثاً تاريخياً قد يجد فيه فلاحو اليوم عبرةً وذكرى .

ولشذب الكروم عندهم (او تشحيلها او تربتها) طرق متوارثة تدل على حذق ومهارة ، منها طريقة حريّة بالذكر يسندونها الى شيخ من شيوخهم مر

بكرّام رآه يشذب كرمه فوقف يراقبه ، فاذا الكرام اكتع ولا يحسن العمل، فنصحه الشيخ قائلاً : « اقطع يا ابني من الدوالي ما كان مثلي ، ومن القضبان الراضع والراجع وما كان مثلك » فذهبت نصيحته قاعدة للشذب يرددونها ويجرون عليها . وقد اراد الشيخ بما كان مثله من الدوالي الهرم الفاني ، واراد بالباقي النابت على الاصول والعائد الى الوراء والاكتع او المعوج، وكلها تسيء الشكل الهندسي للدالية وليس منها فائدة تذكر . اما القضبان التي تترك فهي المساة في عرفهم « الملوك » وميزتها النماء والنضارة ويشذبونها عـادةً على برعمين الى ستة تبعاً لمقدار نموها ونضارتها .

وفي الغالب يكون نيسان في لبنان ناجياً من الثلج ، قليل المطر ، فتحتاج الزروع فيه حاجة شديدة الى مطرة ترويها .وتساعدها على الاسبال ، لذلك اشاد اللبنانيون بمدح مطرة نيسان . وعظم فائدتها ، فما قالوا فيها :

« المطرة في نيسان ، بتسوى القرقة والصيصان ».والاصل في هذا القول ان اميرًا لبنانياً استصنع احـد الصاغة دمى من ذهب ، مرصعة بالمـاس والحجارة الكريمة ، تمثل الدجاجة وفراخها المساة في لبنان « القرقة وصيصانها » ، وكان فخورًا جدًا بهذه الدمى وكثرة ثمنها ، وقد دخل عليه في يوم من نيسان بعـد جفاف طويل خيف منه على يباس الزروع احد المقربين منه ، فسألـه الامير : « والقرقـة والصيصان » على طبق بين يديه :« بكم تثمن هذه القرقـة والصيصان ؟ » اجاب الرجل :« ايها الامير ، مطرة في نيسان بتسوى القرقـة والصيصان » . مشيرًا بذلك الى ان مـا ينجم عن مطر نيسان من الخصب في الغلال لا يُمكن تثمينه ، فذهب جوابه مثلاً .

ويقولون ايضاً بهذا المعنى:« المطرة في نيسان ، بتحيي الانسان » . « والمطرة في نيسان ، جواهر مـا لها اثمـان » . « والمطرة في نيسان ، بتسْوى السكة والفدان » ومعناه لا تحصل فائدة من السكة والفدان وما يزرع بهما ، ان لم ترو تلـك الزروع امطارُ نيسان . ويقولون :« في نيسان الـدلفة في الحارة ، بتجيب اليها من القمح غرارة » لان الدلفة لا تحصل ما لم ينهمل المطر ، والمطر ينعش الزروع ويوفر الغلال ويزيدها اقبالاً .

ويستنكرون انحباس المطر في نيسان كل الاستنكار ، لما يعقب ذلك من جدب ويقولون : « نيسان بلا شتي ، مثل العروس بلا جلي » اي ان نيسان ، على جماله ، اذا لم تقع فيه الامطار ، فلا يستغلّ الفلاحون فيه من مواسمهم ما يسرُّهم ، كما ان العروس ، مهما كانت جميلة ، اذا لم تزفّ بحفلة غناء وطرب ، فلا يجد حاضرو العرس ما يدعوهم فيه الى الاغتباط والبهجة .

ـ وقد يشتد الحر في نيسان فتبدل الاثواب الثقيلة بالاثواب الصيفية الخفيفة ، ودثر الصوف التي للاسرّة بدثر القطن والكتان المستعملة عادةً في الصيف ، ويقولون في ذلك : « في نيسان ، بتصير الدنيا عروس ، وبيخففوا الغطا والملبوس » على انهم يتحفظون في هذا التبديل محاذرين التسرع فيه ، لما قد ينجم عنه احياناً من اذى البرد ، ولاسيما في الليل ويقولون : « في نيسان من خفف لبسه ، في خفو شمسه ، اضرّ نفسه » . وشمس نيسان عندهم ذات فائدة لمن يتعرّض لها ، لذلك اشتهتها العجوز « لها ولشيتها » كما مرّ بك في الكلام عن شهر شباط .

ويظهر ان التبكير في غرس الاشجار الذي اشرنا اليه عند كلامنا على الكانونين لا يصح في غرس التين الذي موعده نيسان ، كما يتضح من المثل العامي الآتي : « متى صار ورق التين كف غراب ، قص ونصاب » ولا يصير ورق التين كذلك ، ولاسيما في الجبل ، الا في شهر نيسان .

وفي اعالي الجبال يزرعون الحمص في هذا الشهر ويقولون في ذلك : « متى صار ورق التين كف غراب ، ازرع حمصك في التراب » وفي نيسان تجمّ اغراس التوت المزروعة حديثاً اي تقطع لتنمو ويقولون في ذلك : « شمّ وجمّ » اي قف حذاء الغرسة واقطعها على مساواة انفك . وهذا قياس للطول الواجب ان يترك لاغراس التوت عند « جمها »

ويستحسن من مواليد الماشية في نيسان امهار الخيل ، ويقولون في ذلك : « لا تقتني الا مهر نيسان » لان الطقس يوافقه فينمو ويؤمّل له المستقبل الحسن .

وفي اواسط نيسان تظهر الطبيعة في لبنان بمظهر الصيف ، مع ان هذا الشهر هو من فصل الربيع ، ويقولون في ذلك : « شعّن وادخل » اي بعد الشعنينة التي تكون غالباً في نيسان يدخل الى الصيف او الى جوّ جميل يشابه جوّ الصيف .

وفي نيسان يستثمر عادةً موسم القز الذي ما زال اللبنانيون يعدّونه اهم مواردهم الاقتصادية ، رغم ما ناله من الصدمات ، في هذه السنين الاخيرة ، ولهم في هذا الموسم امثال وتقاليد كثيرة نورد بعضها هنا لانها ذات علاقة بالموضوع الذي نعالجه . منها :

« في نيسان الحكم للنسوان » لان النساء يرئسن ادارة الموسم فينطلقن من قيود الاعمال المنزلية ويأمرن الرجل بعمل ما يحتجن اليه من المعاونات في مهامهن ، ويستخلص من ذلك ان رئاسة الاسرة في لبنان كانت دائماً للرجل على ما اوجبته النواميس الالهية والطبيعية . ومنها : « القزّ بدها نزّ » اي يلزمها تعب وعناء . ويقولون في مراحل القز او اطوارها الاربعة المسماة بالفطرات : « اول فطرة ، الطعمة قطرة قطرة » . « في فطرة التنتين ، دلّي الطبق طبقين ، واستبشري بوفاء الدين » . « في فطرة التلاتي ، حطي الواطي عالي والعالي واطي ، واصحي من الشاتة » . « في فطرة الرابعة ، طعمة متتابعة ، ان سلمت ذهب ، وان مرضت يا ضيمان التعب » . وبعد ان تصير القز في اليوم الخامس بعد الفطرة الرابعة يقال : « ليلة الخمسة ، كبري الكمشة » . « ليلة الستة ، كشي وحطي » . « ليلة السبعة ، ما لها شبعة » . « ليلة الثانية ، عجوز ثانية » . « ليلة التسعة ، راحت على الشيح تسعى » . « ليلة العشرة ، اكليا قشرة » ، اي قليلة . ويقال ايضاً : « عشر ، ودشر » . ويقال : « طلعت القزّ على الشيح ، اقبر مرتك واستريح . »

وفي هذا المثل الاخير اشارة الى ان المرأة في لبنان تعاون الرجل في اعماله اليدوية ولاسيما في تربية القز ، ولاجل هذه المعاونة يرى نفسه في حاجة قصوى اليها ، فاذا فرغ من العمل استغنى عنها ، وقد عرفت في بعض القرى اعزاباً يلحّون بالزواج قبيل موسم الحرير ليكون الى جانبهم فيه زوجة تعاونهم عليه ، ولولا ذلك لارجأوا الزواج بل لما اقدموا عليه .

ويقولون ايضاً في نيسان ، تنشد العصافير الاغنية الآتية : « طاطا وزّ ، طاطا وزّ ، هي المنجل جات القز » . فمن طالع هذه العبارات العامية رأى فيها صورة صحيحة للحركة النشيطة التي تظهر في الاوساط الزراعية في لبنان ايام القز ، وادرك ما اتصف به الفلاح اللبناني من الذكاء والاقدام وبعد الهمة .

طاغية القرية

مأساة ذات فصلين

بقلم يوسف غصوب

٤

(تتمة)

الفصل الاول

المشهد السادس

المهاجر وحده

المهاجر (بعد ان نظر طويلاً الى الجهة التي خرجت منها المرأتان) مسكينتان ! هما ضحيتان لهذا الرجل الغاشم . لم تتغيّر حالة هذا البيت منذ تركته . نفسان تتعذبان ، ورجل لا يصغي الا لصوت المال ، ولا يهتزّ قلبه الا لرنين المال . هذه صورة العذراء لا تزال مكانها . وهذه الطاولة لا تزال في محلها . فكأنني خرجت من البيت في الصباح ، وعدت اليه في المساء . لم يتبدّل الا هذه الفتاة ليلى ، هذه الأخيّة التعسة الشاحبة ! هي في ربيع الحياة ، اما قلبها فمظلم بالاسى والكآبة . آه ما اقساكَ ، يا جَشَع ، وما اظلمك ! فان ريحك لسَموم تيبس ما حولها من العواطف ، وان لونك لاسود يصبغ كل شيء بالسواد حتى نور الشمس .
ما اقرب السعادة من هذا البيت ! فانها على قيد خطوة منه . فما لابي الّا ان يفتح النافذة ويقول لها : ادخلي ! ولكنه بدلاً من ادخالها الى بيته ، قد بنى دونها حائطاً واصلاً بالسحاب ، حائطاً من البخل والطمع ،

من هذا المعدن الصلب القاسي ، فهل من سبيل لحرقه ! قد نغّص علينا عيشنا وشدّ على قلوبنا بربائط ، فهي دائماً متألمة ، قلقة ، لا تكاد تتنفس .

سافرت ، هربت ، تركت هذا السجن طالباً الهواء الطلق ، طالباً شيئاً من السعادة التي فتشت عنها هنا فما وجدتها . ولكن هل يسعد الشريد الطريد ؟ تكبّدت الاسفار ، وعانيت الاهوال ، واشتغلت كثيراً ، وتعبت كثيراً ، فجمعت مالاً وفيراً . ولكني كنت دائماً وحيداً فريداً . كنت في غربتي كلما هممت بالضحك سبقت الدمعة الى عيني . . . ثم قلت : ارجع ، وارى اهلي . فلعلّ هجري يكون أثّر في ابي فغيّر طباعه ، ولين عواطفه ! فاذا هو هو ، لا يزال كما كان . . . (يكاد يبكي) ماذا افعل ؟ أأبوح بسرّي ، واخبر اهلي عن نفسي ؟ ام ارجع الى حيث كنت صامتاً حافظاً في صدري حزني والمي ؟ . . .

(امام النافذة)

ما اجمل لياليك وابهى سماءك يا لبنان ! نجوم باسمة على مخمل ازرق ، فوق جبالك البيضاء . ونسيم يسري بين الاشجار ، ناقلاً تنهّدات الازهار الى قلوب العذارى الساحرات . فراك ترقد حالمة بالسعادة على منحدرات الروابي ، وبين احضان الاودية . من نظر اليك ظنّ السعادة مخيّمة فوق اكواخك ، وفي جوانب قصورك . ولكن كم من قلوب حزينة ، وقلوب قاسية شرهة في هذه البيوت الهادئة ، وبين الصنوبر العطر ، والسنديان النضر !

ابتسمي ، يا نجوم ؟ وعطّري ، يا نسمات الليل ! واسكبي السلام والصلاح في قلوب العباد حتى الصباح . . . (يأخذ القنديل ويدخل الى الغرفة .)

وفي هذه الآونة يسدل الستار قليلاً فقليلاً

الفصل الثاني

المشهد الاول

ابو شهيد

يرفع الستار بعد دقيقة ، فيبدو المسرح فارغاً وليس فيه من نور سوى كآبة المذراء .

ابوشهيد (يدخل بجبنة مضطربة) الف ليرة ذهبية ، واصبح اغنى رجل في القرية ، بل في القضاء اجمع . (يجلس الى الطاولة) بل تصبح القرية ملكاً لي . ويصير هؤلاء المتكبرون ، ابناء الاسياد ، ابناء الشيوخ والامراء ، اتباعاً لي ينظرون اليّ خائفين حاسدين . انا ابن الفلاح الذي لم يكن على شيء من حطام الدنيا ، ثم هو الآن قدير على كل شيء ، تفتح له المجالس والبيوت ، ويرفع صوته عالياً . تراعي الحكومة جانبه ، ويفتش الكبراء عن صداقته . مسموع الكلمة ، نافذ الارادة . فليبغضني من يشاء ، ولينفر مني من يشاء . فقد بلغت الذي بلغت بجدي واقدامي . قد كنت ويلاً على من اعترضني في طريقي ، ولا حرج ! فهذا حق القويّ على الضعيف . الويل للضعيف ! هي سنة الطبيعة . فمن اراد ان يعيش فليكن قوياً . ان الانين والتلهف والاستخزاء لا يفيد شيئاً . فان العاصفة اذا مرّت لا تبقى الا على كل شيء متين ثابت .... ها ! ها ! ها ! غداً يأتي هذا الشامخ الانف ، هذا المتكبر المصعّر خده للناس ، وعدّ يده صاغراً . قد انتظرتك طويلاً ، يا رامي . وقد حان وقتك (يتصوّر ان الرامي امامه) تفضل ، ادخل . اجلس . انت في حاجة الى المال ؟ آه ! آه ! انت في حاجة الى هذا الشيء الذي احتقرته ، هذا الشيء الذي كنت ترميه من النوافذ ؟ انت في حاجة اليّ ؟ الى هذا الشخص الذي كنت تسخر به من مجلله ! ... تريد ان تبيع ؟ ... كم تريد ؟ ... تريد ان تهجر القرية ؟ ومن يكون معبود القرية من بعدك ؟ انت رئيسها ،

انت عمادها ، انت خزينتها . كانت القرية تغترف من خزينتك ، اما الآن فانيت تمدّ اليدين ، تسعى وراء المال . . . كم تريد ! الف ليرة ؟ (كأنه رجع الى نفسه) الف ليرة ؟ ليس لديّ الف ليرة . . . كيف العمل ؟ (افكار تتلاعب به) أأترك هذه الفرصة السانحة تفلت من يدي ؟ . . . المال ! . . . المال هنا . . . المال راقد هنا بالقرب مني مع هذا الفتى النائم . . . اهو القدر ساقه اليَّ ! اهو القدر حليفي (يقلب السكين التي على الطاولة) ماذا ؟ أإلى هذا الحدّ وصلت ؟ . . . ارى الدماء على يدي . . . لا . لا . اليك عني ، ايها اللعين . . . (يجلس ويفكر) قرية «عين عذراء» تصبح بجملتها ملكاً لي . اصبح اغنى رجل في لبنان وكلمتي انفذ كلمة . . . مَن هذا الفتى النائم هنا ؟ غريب ! لم يرَه احد ! . . . لا . لا . (يدور في الغرفة ذهاباً واياباً مضطرباً) الف ليرة في جيبه . الليل ساكن . ما من احد على الطريق . نحن في بيت بعيد عن القرية . في البستان بئر عميقة مهجورة مغطّاة بالعوسج . . . لا يمرّ بها احد . . . لا . لا . اترى هذا الذي يقال له الضمير ! . . . فرأسي يكاد ان ينفجر . . . من يجرأ على اتهامي ؟ من يطالبني به ؟ . . . انا اقوى من الجميع . . . (يأخذ السكين عن الطاولة . وبعد ان يفكّر قليلاً يدخل الغرفة بكل سرعة)

المشهد الثاني

مريم . ثم ليلى . ثم ابوشهيد

مريم (تدخل بعد قليل) لم استطع ان انام . شيء يدفعني الى هذه الغرفة . وقلبي يقول لي ان هذا الفتى الذي هفت اليه نفسي منذ رأيته هو قريب مني ، هو شيء مني ، فمن تراه يكون ! . . . قد اثار صوته في جوانب صدري عواطفَ غريبة ، وشعوراً عجيباً . تطلّعاته واشاراته تذكّرني بتطلّعات وحركات اعرفها . اهو كاذب في ادّعائه بانه غريب عنا ! اتراه يكون ولدي ! . . . احبّ ان يخدعنا هذه الخدعة اللطيفة ! ايتها العذراء ، بحقّ ولدك الالهي ، لا تكذّبي رجائي .

ليلى (تدخل) امي ، انت هنا ؟ ما انهضك من نومك !

مريم لا شيء ، يا ولدي ، وانت !

ليلى ارى ان فكرًا واحدًا دفعنا الى هنا . (تسمع جلاجل البغال من بعيد وصوت « عتابا »)

مريم نعم . فانا في شك من صحة كلام هـذا الفتى ، وشيء يقول لي في اعماق صدري انه شهيد ولدي .

ليلى اخي .. اخي ... ان هذه الافكار قد ساورتني منذ ذهابي للنوم ، ولم تهدأ . فنهضت الى غرفتك لافاتحك بالامر ، فما وجدتك ، فاتيت الى هنا . آه فما اشدّ ما يكون سروري ان صحّ حلمي .
(يقترب صوت المكارين وصوت الجلاجل)

مريم لا تأملي كثيرًا ، يا بنيتي ، فان الخيبة اشدّ هولًا من اليأس !

ليلى (تطلّ من القنطرة) هؤلاء مكارون آتون من بيروت . اتسمعين صوت الجلاجل في اعناق البغال ؟ هذا فياض ، ورفيقه سلمان .

مريم (تقترب من ليلى) ارى البغال قد اتجهت صوبنا ، واخذت في الطريق المؤدية الى البيت .

ليلى هي صاعدة بين التوت ... ربي ! هذه احمال مسافرين : صناديق ، واكياس ، وكراسي .

مريم وصلت البغال الى القبو ... وقفت .

ليلى اماه ، هو اخي .
(هنا يطلّ ابو شهيد من الباب ويداه عليهما دم ، وعيناه نافرتان .)

مريم يا خليل ، يا ابا شهيد . (تتجه نحو غرفته لتدعوه)

ليلى أبي ، أبي ، هو اخي . (تنظر الى ابيها واذ تراه في حالته الراعبة تتراجع الى الوراء .)

ابوشهيد آه ! قد قتلت ولدي بيدي ؟ (ثم يسقط على الارض بلا حراك)

ينزل الستار قليلًا فقليلًا

تمت

شذرات

سكة حديد بين مكة وجدة

قرأنا في جريدة « صوت الحجاز » المكية (العدد ٤٨ بتاريخ ٦ آذار ١٩٣٣) مرسوماً لابن سعود يُقرّ فيه اتفاقاً موقعاً بين وزير ماليته والسيد عبد القادر الجيلاني بشأن انشاء خط حديدي بين مكة وجدة . فرأينا من المفيد ان يطلع قراؤنا الكرام ، ولاسيا من كان منهم راغباً في معرفة ما يجري في بلاد العرب، على هذا المرسوم وعلى اهم مواد الاتفاق المذكور :

اما المرسوم فهو :

بسم الله الرحمن الرحيم مرسوم رقم (٥٦٩٥)

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود . ملك المملكة العربية السعودية

بعد الاعتماد على الله . وبناء على ما عرضه علينا نائبنا ورئيس مجلس وكلائنا وموافقة مجلس الوكلاء امرنا بما هو آت :

المادة الاولى — يعتمد الاتفاق الموقع عليه بين وزير ماليتنا والسيد عبدالقادر الجيلاني بتاريخ اليوم الخاص بامتياز انشاء خط حديدي بين مكة المكرمة وجدة ، ويكون جزءاً متمماً لهذا المرسوم ولا يجوز تعديله الا بموافقتنا.

المادة الثانية — على وزير ماليتنا تنفيذ احكام هذا المرسوم.

صدر في الرياض في هذا اليوم الثامن والعشرين من شهر شوال ١٣٥١ الموافق ٢٣ فبراير ١٩٣٣ . « التوقيع » عبد العزيز

في ٢٨ شوال سنة ١٣٥١ بامر جلالته .

« التوقيع » فيصل

واما « الاتفاقية المصدقة » فهذه اهم موادها ، « وقد ضمنت الحقوق والمصالح التي يجب ان تلاحظ في هذا المشروع المفيد » ، على قول « صوت الحجاز » :

١ — تؤلف شركة اسلامية محضة واصحاب الاسهم فيها كلهم مسلمون ، لمد خط حديدي بين مكة — جدة.

٢ — رأس مال الشركة خمسة ملايين ربية قابلة للزيادة اذا قضت الضرورة ، مقسمة الى مائة الف سهم كل سهم بخمسين ربية.

٤ ــ تحجز الشركة قسماً من الاسهم ليشترك فيها الحكومة والوطنيون.
٥ ــ مدة الامتياز خمسين سنة من تاريخ اعطائه.

٨ ــ تدفع الشركة للحكومة مبلغ مليون ربية مقدماً مقسطة على خمسة اقساط شهرية تبتدئ من رجب عام ٣٥٢ وتنتهي في شهر ذي القعدة ٣٥٢ كل قسط منها بمبلغ مائتي الف ربيه على ان تستوفيه الشركة من الحكومة بخصم خمسة في المائة من حصة الحكومة في واردات الشركة.

٩ ــ يكون الابتداء في مد الخط من شهر رجب سنة ٣٥٢ على شرط انه اذا انتهى شهر ذي الحجة ٣٥٢ ولم تبتدئ الشركة في مده فللحكومة الحق في الغاء الامتياز او ابقائه ولا يكون للشركة حق المطالبة في المبلغ الذي تكون قد دفعته للحكومة المبين بالمادة الثامنة.

١٥ ــ اعتبارًا من الشروع في تسيير الخط تمنع الحكومة طيلة مدة الامتياز سير السيارات بين مكة وجدة الا ماكان منها للحكومة او لاصحابها الخصوصيين على انه اذا حل رجب ٣٥٤ ولم يكمل تسيير الخط فان السيارات تظل سائرة الى نهاية موسم الحج.

٢٠ ــ على الشركة ان تؤمن قيام قطار من مكة ومثله من جدة في كل اربعة وعشرين ساعة على الاقل ويتفق على مواعيد قيام هذه القطارات بين الحكومة والشركة، وعلى الشركة ايضاً ان تستعد لتأمين النقليات الاخرى التي تزيد عن القطارات المعتادة خصوصاً في ايام الحج والنزول.

٢١ ــ دفاتر حسابات الشركة وتذاكر الركاب ومعاملات الشركة مع الحكومة ومعاملاتها مع الجمهور تكون باللغة العربية.

٢٥ ــ على الشركة ان تضع في نظامها نصوصاً واضحة تتعين بها طريقة انتقال الاسهم والتداول بها في الاسواق المالية لاجل حفظها في يد المسلمين فقط ومنع تسربها الى سواهم. وعلى الشركة ان تلاحظ ايضاً ضرورة ترجيح بيع الاسهم للموطنين على سواهم بحيث ان الاسهم التي يعرضها حاملوها للبيع في الخارج تعرض خلال مدة معينة على اهل البلاد فان رغبوا فيها بيعت لهم والا تباع للطالبين من المسلمين في الخارج.

مطبوعات شرقية جديدة

Picard (Charles) : Les Origines du polythéisme hellénique. L'ère homérique. [« *Art et Religion* »]. *in-8° de* 192 *pp.* 24 *pl. hors texte. Paris, H. Laurens.* 1932, *Prix* : 20 *fs.*

اصول الشرك اليوناني : العصر الهوميري

تقدم لنا في « المشرق » (٢٩ [١٩٣١] : ٧٤) وصف الجزء الاول من هذا الكتاب ، وقد نشره المؤلف سنة ١٩٣٠ ، خاصاً اياه بالفنّ الاقريطشي - الميقيني وما يدلّ عليه من عاطفة دينية . وهـا اننا نصف اليوم جزءه الثاني والاخير متعلّقاً كسابقه باصول الشرك اليوناني ، مفيدًا الفائدة نفسها . الا انه اوسع مادة من الاول ، واكثر وثائق ومستندات حتى ان المؤلف يستغـلّ لا المكتشفات الحثيـة الاخيرة فحسب بل يستفيـد ايضاً من مكتشفات راس شمرا ، قرب اللاذقية ، يدرسها ويعلّلها بسهولة جديرة بالذكر مستخرجاً منها كثيرًا من الآراء الجديدة والنظريات الشخصية ، دالًّا على تضلّع من موضوعه ومزاولـة متواصلة لمشاكله المختلفة . ثم ان العصر الماضي لم يكن ليقـدم للباحث الّا اسانيـد صامتة ، ان صحّ لنا هذا التعبير ، إمـا لأنّ الزمن لم يكد يحتفظ بشيء من آثار ذاك العصر ، وإمـا لانّ العلماء لم يتمكنوا حتى اليوم من حلّ الكتابات الاقريطشية - الابجية . وهو خلاف ما يظهر في عصر هوميروس الذي عاش حوالي السنة ٨٥٠ ق . م . فان الكتابة الابجـدية كانت قد استقرّت في بلاد اليونان وفي آسية الصغرى . فكان من ذلك عصر جـديد يصل بين ماضٍ مظلم ، وحاضر عملت على تكوينه الزحفـات الهندية - الاوربية الهـابطة من الشمال ، ومستقبل يزداد ازدهاره شيئاً فشيئاً في ما خصّ الفنّ . وقـد اوقف المؤلف موضوع بحثه عند العصر المدرسي المعروف .

وهو ينتقل ، في درس العصر الهوميري ، من ذكر الديانة الروحانية الصوفية الشرقية المظهر التي خلفت الاصول الاولى ، الى ذكر ازدهار العبادة الهنـدية -

الاوربية المشبّهة . وهو ما عمل على توليد آلهة الاولمب المعروفة بما أضيف اليها من الزيادات الصادرة عن مناطق البحر المتوسط من مصرية، واسيويّة، وميقينية قديمة، وغير ذلك، مختلطةً اوّلاً بديانة بلاد اليونان الشمالية وفنّها القديم . وقد صار هذا الشرك الاسطوري ميزةً فارقة للديانة اليونانية في العصر المدرسي . وانه بفضل ما في اصوله من التنوّع والتشعّب والتعقّد، دفع اليونان، تحت التأثير الهندي ـ الاوربي، الى الانتقال من دين سحري محض في شرح الحياة الى الاخذ بعقيدة تاريخية علمية . فكانت هذه الظاهرة، في زعم المؤلف وفي نظر العالم الديني الشرقي، « تحريرًا للعالم البشري ». (ص ١٦٦) على ان الدائنين احتفظوا من ماضيهم بكل ما لم يكن من شأنه ان يجرح فكرتهم الراقية في المحيط الجديد، مستندين في كل ذلك الى الرمز والاسطورة اكثر من استنادهم الى الطقس وطريقة العبادة. وبالاختصار فان ذاك الدين القديم مال الى الاخذ بالتأثير العقلي . وقد لزم بعد ذلك، على عهد الاسكندر الكبير، تأثير جديد من قبل الديانات الشرقية لتوليد الديانات المعروفة « بالديانات الخلاصية » هذا وان المؤلف من منكري الوحي، دفعه ذلك، غير مرة، الى مقابلات بين الديانات التي يدرسها والدين المسيحي لم يدل فيها على بعد نظر وتوفّق في الحكم. ومهما يكن من امر فليس الدين المسيحي « باليهودية المتأثرة باليونانية » كما يزعم (ص ١٨٤) . وقد اخطأ ايضاً خطأً فاحشاً في ما خصّ « اسطوانة تيسكيفتش » (Tysckiewicz) متأثرًا في ذلك بوهم الاستاذ دوسّو (ص ٤٩) . وكنت قد بيّنت هذا الخطأ في مجموعة كليّتنا (*MUSJ*, XV [1931] p. 261-280) ويمكن ان يراجع في ذلك ايضاً Götze [*Orientalist. Literat. Zeit.* 1932, *p.* 465] ، وفي الموضوع نفسه Schachermayer[*Archiv f. Orientforsch.* 1932, *p.* 284]

اما ثمن هذا الكتاب المشحون بالمعلومات والافكار والنظريات والآراء الفنية والفلسفية بما فيه من الالواح التصويرية فعشرون فرنكاً لا غير . وهو امرٌ يكاد لا يصدّق . وعليه فاننا نقدم للطابع ايضاً اخلص تهانينا س. ر.

Kazem Daghestani : Etude sociologique sur la famille musulmane contemporaine en Syrie. *XV+ 226 pp. avec 1 carte hors texte. Paris, Librairie Ernest Leroux. Prix : 40 fs.*

الاسرة المسلمة المعاصرة في سورية

هو بحث دقيق نفيس في احوال الاسرة المسلمة السنية المعاصرة في سورية، قام به الاستاذ كاظم الداغستاني مستعدًّا له بثقافة علمية غربية وباطلاع واسع على مظاهر الهيئة الاجتماعية المسلمة في سورية التي يدرسها كاحد ابنائها. فاتى عمله من ادقّ ما كتب في الموضوع، ومما يتوصّل اليه نادرًا علماء الغربيين والشرقيين. لما ينقص الاوّلين عادةً من معرفة باللغة والعادات السورية ومن سهولة في ملابسة العيال المسلمة، ولما ينقص الآخرين من ثقافة علمية ضرورية في هذه الابحاث، ومن تجرّد عن الهوس والهوى. اما الاستاذ الداغستاني فقد توفق في تذليل الكثير من هذه العقبات، ممهّدًا السبيل الى دروس اجتماعية وعمرانية نحن في اشدّ الحاجة اليها اليوم، وقد اخذت سورية بتطوّر يظهر في انظمتها ومؤسساتها. حتى ان كتابه الذي لا يستغرب طريقته احد في اوربة، على قول الاستاذ غودفروا ديومبين كاتب المقدّمة، قد يظهر في سورية بمظهر التجديد. وهو تجديد صالح، مثمر، ان شاء الله.

يبدأ المؤلف بتحديد موضوعه في المكان كما حدّده في الزمان. وكما انه يحصر بحثه في الاسرة المسلمة السنّية المعاصرة، كذلك يحصره في السنّيين القاطنين سورية الادارية، تاركًا جانبًا العلويين والدروز ومن اليهم من الفِرَق التي تختلف اخلاقها وعاداتها عن اخلاق السنّيين وعاداتهم. وهو لا يهتمّ كذلك بالبدو الرحل. على انه لا يهمل ما يراه من الشبه بين عادات هذه الشعوب وعادات الشعب الذي يدرسه، فيشير الى ذلك في حواشي الكتاب التي، وان لم تكوّن مقابلة تامة في العادات والاخلاق، فانها تظهر فائدة جزيلة يُشكر عليها المؤلف.

وقد يشير ايضًا الى ما يشابه عادات السنّيين السوريين من عادات غيرهم كموارنة لبنان، ودروز الجبل.

. اما التقسيم الذي يتبعه فهو التقسيم الطبيعي المعقول دارساً مظاهر الحياة الاجتماعية في الاسر المدنية ثم القروية ، ثم عند البدو المتحضرين ، ثم عند الشركس والاكراد والتركمان من الذين لم يتخلقوا باخلاق الستين في المدن الكبيرة ، مبتدئاً « بالزواج » وما يتعلق به من عمر العروسين ، وشروط العقد ، والاساطير والخرافات المتعددة ، ثم « بالحياة الزوجية » وما تفرض من حقوق وواجبات ، ثم يتكلم عن «الاولاد ووالديهم » وما بينهم من علائق ، ثم يخوض في « الاسرة » على الجملة . وهو ينظر في كل ذلك لا الى الشروط والاحوال التي يفرضها الشرع ، بل الى المظاهر التي تبدو في واقع الحال . فيكون كتابه من ثمَّ وصفاً موضوعياً بحتاً لحالة الاسرة المسلمة السنية المعاصرة في سورية . وهو ما اراده ، غير متجاوز ذلك الى شيء من النتائج السياسية او القضائية . مما دفع الاستاذ غودفروا ديومبين الى التمني ان يصبح الكتاب مثالاً للتآليف المشابهة في سورية ، فيفيدها شيئاً من تجرده العلمي . وهو ما نوافق الاستاذ عليه بكل اخلاص.

ف . ا . ب .

Almanach Catholique Français pour 1933. 1 *vol. de* 480 *pp.*, 250 *illustr. Prix* : 7 *fs. Bloud et Gay, Paris.*

التقويم الكاثوليكي الفرنسوي لسنة ١٩٣٣

ليس من حاجة الى وصف هذا التقويم المعروف بمعلوماته الوافرة ، القائم باجلّ الخدم لكل من تهمّهم الحوادث الدينية ، والادبية ، والفنية ، والعلمية ، والاجتماعية ، وموقف الكنيسة الكاثوليكية منها . وما اقبال الناس عليه والعناية بمراجعته كل ما عرضت لهم هذه الامور الا الشاهد العدل على هذه القيمة . فضلاً عن ان اسلوبه الشائق من اوفر العوامل ترغيباً في مطالعته . وقد زيد عليه هذه السنة تجديدات حسنة منها عدد من الروايات التمثيلية القصيرة ، والحكايات الرشيقة ، وعدة ابحاث بعنوان « مشاكل اليوم » ، واخرى بعنوان « فحص الضمير » . ثم معجم كامل باسماء الاشخاص المهتمين وبعض المعلومات عنهم.

Maurice Moch : Le Mandat Britannique en Palestine, *p. VI +* 416. *Paris, Mechelinck,* 1932.

الانتداب البريطاني على فلسطين

امامنا اطروحة لنيل الدكتوراه في الحقوق تشمل درس الانتـداب في حد نفسه ، وما ينتج عن تطبيقه من المظاهر القضائية . يبدأ المؤلف بتلخيص تاريخ فلسطين على عهد السلطنة العثمانية ، ثم يذكر الاتفاقات العديدة التي توالت على اثر انتهاء الحرب الكبرى فأدّت الى موافقة جمية الامم على الانتداب البريطاني. بعد ذلك ينتقل الى عرض المظاهر المتعدّدة للوطن القومي اليهودي ، منحدرًا من تحليل اسمه القضائية . ويعطف على واجبات الدولة المنتدبة فيخصّ بهـا ثلث الكتاب مفرّعًا ابحاثه الى ثلاثة اقسام يدرس في الاول واجبات الدولة تجـاه سكان البلاد ، وفي الثاني واجباتها تجاه الدول الاخرى ، وفي الثالث واجباتهـا تجاه جمية الامم . واخيرًا يعرض لذكر الشروط الشرعية والواقعية التي تسبق انتهاء النظام الانتدابي . وقد الحق بهذا القسم من كتابه نصّ صكّ الانتداب على فلسطين ، ونصوص بعض الانظمة التي سنّتها السلطة البريطانية.

هذا ، وعلى كون المؤلف يشير بعض الاحيان الى الاجحاف اللاحق بالمهاجرين الصهيونيين لعدم معاملتهم بالمساواة ، فانه يحتفظ دائمًا بلهجـة الرزانة والتجرّد الجديرة بالابحاث العلمية . ك . ب . هيوز

Bulgakoff : L'Orthodoxie. [*Collection « Les Religions ».*] *in*-12 *de* 273 *p. Prix* : 15 *f*s, *Librairie Félix Alcan.*

الارثوذكسية

كان مؤلف هـذا الكتاب استاذًا في جامعة موسكو سابقًا ، وهو اليوم استاذ اللاهوت الارثوذكسي في المعهد الروسي في باريس . فحقّ للمطالع من ثمّ ان يتفاءل خيرًا بكتابـه الجميل المظهر ، ويؤمّل فيه درسًا دقيقًا للموضوع وتصويرًا حقًا صحيحًا لتلك الارثوذكسية التي يعرفها المؤلف ويحبهـا . على ان الواقع يخيب الامـل لسوء الحظ . فان من يطالع الكتاب يرى ارثوذكسية عجيبة غريبة حتى انها تبعـد البعد كله عمّا تراه الكنيسة الصقلبية الروسيـة نفسها . نقول هذا ونحن لا يمكننا الاعتقاد ان تلـك الكنيسة تتبنى وتقرّ

نظريات المؤلف الفلسفية في ما خصّ مدلول «الكنيسة» عامة وما تعلّق بها. زد على ذلك ان لسلوب المؤلف ابعد من ان يعمل على ايضاح تلك المشاكل المتعددة. فهو يقوم بتوسيعات وتطويلات مملّة لا اقسام لها ظاهرة، ولا انتقالات معقولة. ثم ان استعماله الكثير من المفردات الجديدة يزيد الارتباك والغموض في موضوع كاللاهوت بحاجة الى اكثر ما يمكن من الدقة والصراحة، فضلاً عن تلك المناظرات والمناقشات التي تمسّ كل شيء. ولا تحلّ شيئاً بل لا تحدّد شيئاً. واوفر مثال على ذلك الفصلُ الخاصُ بالكنيسة الذي يفتتح الكتاب لسوء حظ المطالع. وانّ هذا ليجهد النفس في قراءته حتى اذا قدر على اتمامه، ولا اخاله يقدر على ذلك بسهولة، خرج مضطرب الدماغ يتطلّب النور والراحة والسلام. نقول هذا بكل أسف، متحققين ان الكتاب المذكور أبعد من ان يدلّ على وجه الارثوذكسية الحقيقي. ي. ك.

Georges Coolen : Histoire de l'Eglise d'Angleterre. *Paris, Bloud et Gay*, 1932. 198 *pp.* 12 *fs.*

تاريخ كنيسة انكلترة

هذا المجلّد الصغير حلقة من « المكتبة الكاثوليكية للعلوم الدينية » داخلة في سلسلة «النصرانية في العالم». وهو يلحق بابحاث سبقت عن اليهودية والبوذية. واذًا فليس من المتوقع ان يهتمّ الكتاب خاصّةً بدرس تطوّر الكثلكة في بلاد الانكليز. انما هو تاريخ لكنيسة انكلترة الرسمية التي انشأتها السلطة المدنية في القرن السادس عشر عهدَ كانت اوربة الغربية تقاسي تلك الازمة السياسية والعقلية التي تبعت عصر النهضة. وان في الكتاب موادَّ مفيدة للغاية. من ذلك وصف العقبات والصعوبات التي قاستها تلك النصرانية المقتطعة عن اصلها وما اكتنفها من التقلقل والاضطراب، وما اخذ به الانكليكان في الظروف المختلفة من قوانين الايمان المتنوّعة. مما يدلّ على الطبيعة الحقّة للبروتستانية الانكليزية. ويرى المطالع ايضاً في هذا الكتاب ان انفصال انكلترة عن الكنيسة الجامعة كان، قبل كل شيء، عملاً سياسياً. ولذا فان الامور العقائدية وما يتعلّق بها ظلّت ثنوية مدة ثلاثة قرون. وعليه فان

الانكليكانية اقرب الى « اثر فخم قائم بتنوّع العقائد ، انشأته السلطة الزمنية راغبةً في جمع رعاياها غير الكاثوليكيين في اتفاق لفظي » منها الى كنيسة منشئة . ثم ان من يقرأ ملخص تاريخ هذه الانكليكانية في القرن الماضي يتحقق مفعول الحركة التجديدية من جهة ، ومن جهة اخرى تأثير الميل الى الاخذ بالطقسيات . فيمكنه ان يحكم بصواب على اسباب الارتداد الجزئي الى العقائد الكاثوليكية وطقسياتها ، ذاك الارتداد الذي كان لكثيرين خطوة اولى قادتهم الى الرجوع النهائي الى حظيرة الكنيسة الحقة . ك . ب . هيوز

Marc Vichniac: Lénine. [*Collection « Ames et Visages*]. 1 *vol. in*-16 *de* 268 *p. Prix* : 20 *fs. Librairie Armand Colin, Paris.*

لينين

مؤلف الكتاب من اساتذة الحقوق في القسم الروسي من معهد الدروس الصقلية في باريس . وهو من اجدر الناس بالكتابة عن لينين لانه خاض ثورة ١٩١٧، فكان سكرتيرًا عامًا للمجلس التأسيسي الروسي . فيمكنه اذًا ان يتكلم عن ذلك كلام شاهد عيان بل كلام قائم بالامر احيانًا . ثم ان صفته الاشتراكية الثوروية تمكنه من ان يفهم حقّ الفهم رجال الثورة ومآتيهم دون ان تطوّح به الى التقريظ الشامل او النقد الصارم . فهو يجتهد في ان يحكم الحكم الدقيق المجرد على لينين ، كما عرفه ، وسمعه ، وطالعه . وقد جعل كتابه لا ترجمة حياة تكتنفها الاساطير والشائعات بل تأليفًا تاريخيًا يستند الى الاقوال الصحيحة النسبة والى الاعمال الواقعية المقرَّرة . فيظهر لنا لينين لا « نفسًا صقلية محاطة بالاسرار والاحاجي » بل رجلًا حيًا بحسناته وسيئاته ، يعمل قبل كل شيء على تحقيق الثورة في اواخر القرن التاسع عشر وفي اوائل القرن العشرين ، فيبدو بين زملائه في المؤتمرات السرّية حينًا ، وفي المنفى حينًا آخر ، لا يهمه في كل ذلك الا فكرة واحدة هي الثورة . يبدأ من لا شيء فيصل الى انالة حزبه السلطة العليا سنة ١٩١٧ . وذلك بفضل ما فُطر عليه من قوة ارادة لا يثبّطها فشل وشدة اخلاص للمبدأ لا يزعزعه شيء . وبفضل ما خُصّ به من دقة في النظر السياسي ، ومن ازدراء للتقاليد العامة والنظم الادبية المقرَّرة . وبفضل ما

توفق اليه من جمع فئة من الثوروبين لا يتراجعون امام شيء. يحاولون احداث حركة سنة ١٩٠٥ فيفشلون ويقضون السنين المرّة في المنفى . ثم يعودون الى العمل فينجحون سنة ١٩١٧ .ولا يظهر ان لينين تعلّق بشيء في حياته المضطربة القلقة الا بالغاية الثورية التي احتلّت في شخصيته محلّ الهيام الشديد فاوصلته ، على كونه عديم العبقريــة ضعيف الابتكار ، الى ان يخضع لسلطتــه الفكرية سدس العالم.

Dr Ludwig F. Clauss : Als Beduine unter Beduinen. *Mit 26 Bildern, in-8°, VIII + 114 pp. 15 Tafeln Prix.* : 3 M,80. *Freiburg im Breisgau, Herder.*

كبدويّ بين البدو

هذا المجلّد جزء من مجموعة خاصة بالجغرافية وبدرس الشعوب الاجنبية . وهو مثال جميل لرحلة غاية في اللذة والفائدة قام بها المؤلف مؤخرًا منضماً الى جماعة من بدو شمالي بلاد العرب . فسار معهم من ضواحي الاردن الى حدود بلاد الوهّابيين ، عائشاً معيشتهم خاضعاً لعاداتهم ، متخلّقاً باخلاقهم ، مستفيداً معرفةً دقيقة بشؤون الصحراء، وبطباع سكّانها قلّما وصل اليها اجنبي . وقد صوّر التصاوير العديدة زيّن بها كتابه ، فكانت خير دليل للمطالع تفيده وتلذّه بكونها جديدة لا يشعر اذ يراها بانه يعرفها سابقاً. والخلاصة ان هذا الكتاب الصغير لا يستغني عنه الجغرافيون ومن يهمّهم درس اخلاق الشعوب المختلفة .

ج. ل.

H. Desson : Ce qu'il faut connaître de l'Islam. *in-12. Prix : 8 fs. Paris, Boivin et Cie.*

ما يجب معرفته عن الاسلام

غاية هذا الكتيّب بسط معلومات عامة عن الاسلام لجمهرة المطالعين . الا ان المؤلف لم يستند في كل ذلك الّا الى مطالعات سطحية وملاحظات شخصية اجراها خصوصاً في بلاد الجزائر . فاتى كتابه محصورًا بدائرة ضيّقة لا يذكر عن الاسلام الا المعروفات العامّة. وهو ، ان كان كافياً للتعريب المستعجل ، فلا يمكن

الاستقاء منه الّا بكل تحفظ ، ولا السير وراءه لانه ليس بالدليل المطّلع تمام الاطّلاع .
ج . ل .

Albert Finet : Au pays de la Bible. *in*-12 *de* 229 *pp. Prix* : 15 *fs. Paris, Société commerciale d'édition et de librairie.*

في بلاد الكتاب المقدس

رحلة شائقة قام بها زائر دقيق الملاحظة جمع في اقواله تذكار الماضي الى مراقبة الحاضر . وقد زار كل الامكنة المهمة مبتدئاً باورشليم ، فاليهودية ، فالسامرة ، فالساحل ، مدوّناً بالاختصار ما حفظه التاريخ عن هذه الاماكن ، خاصاً آخر الكتاب بذكر الصهيونية، جامعاً فيه بعض الحوادث الجديرة بالملاحظة . واننا نشير الى احداها كملخص لعقيدة الصهيونيين قال (ص ٢٢٥) : «سافرت يوماً من سمخ ، على شاطئ بحيرة طبرية ، الى حيفا بالقطار . وكان الى جنبي فتاة يهودية بولونية الاصل تقصد الالتحاق بالطارئة اليهودية في بنيامين . وقبل ان تصل فتحت الباب واطلّت تلتهم بناظريها تلك المشاهد الطبيعية . فقلت لها : انتبهي واحذري السقوط . فالتفتت نحوي بعينين برّاقتين وقالت : «دعني انظر الى ارضي .»

Emile Faguet : Histoire de la poésie française, de la Renaissance au Romantisme. *t. VI*, de Boileau à Voltaire 1700-1720. *Prix:* 15 *fs. Paris, Boivin et C*[ie].

تاريخ الشعر الفرنسوي : المجلّد السادس : من بوالو الى ڤولتير

هو المجلّد السادس من تاريخ الشعر الفرنسوي للناقد الشهير اميل فاغيه ، يخصّه بحقبة لا تتجاوز العشرين سنة ، حقبة انحطاط وخمول ان جاز الكلام فيها عن «الشعراء» فلا يجوز عن «الشعر» الحقيقي . وان وجد المؤرّخ شيئاً من الشعر المزخرف ، او الشعر الظرفي ، او الشعر الفلسفي في القرن الثامن عشر ، فلا يجد شيئاً يستحقّ الذكر في هذه الحقبة من بوالو الى ڤولتير . على ان السائر في هذا القفر الشعري لـه من المؤلف دليل مطّلع امين دقيق الاحكام شائق الاسلوب . مما يجعل كتابه جديراً بان يكون في مكتبة اساتذة الادب فيستفيدوا منه ويفيدوا تلامذتهم .
ج . ل

Raoul Plus s. j. : Marie dans notre histoire divine. *Beau vol. in-8° sur alfa, de 176 pp. Prix : 6 fs. Editions de l'Apostolat de la Prière.*

مريم العذراء في تاريخنا الالهي

يقدّم المؤلف كتابه الى الطلّاب المشتركين باخوية العذراء في معاهد مدينة ليل الكاثوليكية ، ثم الى جميع النفوس المخلصة المتعبدة لامّ الله . وهو وافر الفائدة واللذة يمكن ان يستقي منه جميع الكهنة ، والرهبان ، والشبان ، والشابات وكل من كان مشتركاً باحدى اخويات العذراء ، او اراد ان يتقرّب من معرفة امّ الله معرفةً تامة تفيده وتقوّيه .

Mme Compaing de la Tour-Girard : L'Histoire Sainte de mes tout-petits. *Préface du* **R. P. Lhande** s. j. *Illustrations de* **M. Seyrac**. *Beau vol. in-8° de 380 pp. Prix : 10 fs. Editions de l'Apostolat de la Prière.*

تعليم التاريخ الديني للصغار

ان رجال العهد القديم سيصبحون شخصيات حيّة لدى الصغار فيخرجون من جمود التماثيل القديمة الى شيوخ وشبان يعرفهم الدارسون ويألفونهم . وذلك بفضل هذا الكتاب الذي من اخصّ مزاياه الحياة والرونق . ولا شكّ ان اولئك الصغار سيأخذون بهذه الحياة ويتعوّدون مؤالفة الابطال المذكورين حتى يدفعهم ذلك ، في ما بعد ، الى قراءة الكتاب المقدس بكامله وتفهّم روحه . وهو افضل ما يؤمّل من المؤلف الحاضر .

P. P. Guissard : Portraits assomptionistes. *1 vol. de 422 pp. Prix, broché : 15 fs. Bonne Presse, Paris.*

صور لبعض الصعوديين

لكل اسرة رهبانية روحها ، ونظام سيرها ، واعمالها . ولا يخفى ما يستفيد افرادها من مطالعة تراجم متقدميهم وسلفائهم في الرهبانية ، ومن النظر الى صورهم العائلية » . وكذلك يستفيد الغرباء عن تلك الاسرة بان يتعرّفوا الى بعض رجال الرهبانية في اعمالهم المتعددة في الازمنة المختلفة . هذه هي الغاية التي رمى اليها المؤلف اذ عرض عدة صور من جماعة الصعوديين . بينهم ثلاثة « قدماء » ، واربعة « مرسلين » ، وسبعة « مهذّبين » ، وخمسة من ارباب الطبع والنشر ، وخمسة من « زهرات حلقات الدرس » ، واربعة من قتلى الحرب ،

واثنان من « القلوب المخلصة » . وان هذه الانواع تمثل اقسام الكتاب .

محاضرات في التربية والتعليم

تأليف واصف بارودي

٨٠ ص . متوسطة — مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٣٢

عُرف الاستاذ واصف البارودي ، احد مفتشي المعارف في الجمهورية اللبنانية ، باطلاعه الواسع على طرق التعليم ، وبرغبته الشديدة في جعل التدريس على اقرب طريقة ممكنة ، وهي « الطريقة المباشرة » لما توفر للمعلم من سهولة وانتفاع بالوقت ، وللولد من لذة وشوق . وقد ساعد الاستاذ على تحقيق هذه الرغبة خبرة حصّلها في رحلاته التفتيشية العديدة ، فعرف الداء ووصف الدواء في كتابين صغيرين ظهر الاول منهما وهو الحالي ، وسيظهر الثاني بعنوان « مقالات في التربية والتعليم .» اما الاول فيجمع محاضرات ثلاث تدور الاوليان منها حول تدريس اللغة ، وهي اول ما يجب على الطالب تحصيله ، فتخوض الاولى في « اللغة والمحادثة » وما يُفرض على المعلم في تعويد التلامذة التحدّث باللغة الفصحى ، وتهتم الثانية « بتدريس قواعد اللغة » على اسلوب عصري سهل يستند الى الطريقة المباشرة المذكورة اعلاه . اما المحاضرة الثالثة فقد خصّها المؤلف « بكيفية التدريس في مدرسة ذات معلم واحد .» فابدى فيها من النصائح ما يشكره له جميع معلّمي القرى . واردف الكتاب بلحقات ثلاثة فيها طريقة لتوزيع الساعات في اقسام التعليم الثلاثة : التجهيزي والاعدادي والوسط . فكان عمله عمل المفتش الساهر على سير التعليم الحسن ، الراغب في اعطاء التلامذة الثقافة الحقة .

ف . ا . ب .

السوريون في مصر

بقلم الخوري بولس قرآلي

١٠٨ ص . متوسطة كبيرة — مطبعة العلم ، بيت شباب ، ١٩٣٣

هو القسم الثاني من الجزء الاول لكتاب « السوريون في مصر » الذي يهتم بتأليفه حضرة المؤرخ المعروف الخوري بولس قرآلي . كان قد نشره تباعاً في مجلته البطريركية ، جامعاً فيه الوثائق الخطية المتعلقة بالسوريين في القطر

المصري على عهد المماليك من سنة ١٧٥٠ الى ١٨٠٥ خاصةً . وهي ٤٨ وثيقة من فرمانات سلطانية ، ومناشير بطريركية ، ورسائل واجوبة تتعلّق بشؤون دينية ومدنية ، ومذكّرات شخصية ، الى غير ذلك من الاصول المهمة للموضوع المذكور . نشرها حضرة الاب وعلّق عليها بعض الحواشي ، ووضع لها فهرساً ابجدياً عاماً يسهّل الاستفادة منها ، فاستحق ثنا. كل المشتغلين بالتاريخ الشرقي .

ف . ا . ب .

رنّات المثالث والمثاني في رواية الاغاني

الجزء الاول

٢١٢ ص . متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢

هي الطبعة الرابعة لذاك الكتاب الشهير بين ارباب المدارس الثنوية الذي انتخبه حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعي من كتاب « الاغاني » الكبير ، فاختار الروايات الادبية ، وصحّحها ، وعلّق عليها الحواشي التاريخية واللغوية المفيدة وطبعها لفائدة طلاب الصفوف العليا . وها قد بلغت اليوم طبعتها الرابعة ممتازةً ببعض الاصلاحات في اسما. الاعلام ، وبكثير من الحواشي ، وبفهارس ابجدية ثلاثة لاسما. الشعراء ، والاماكن ، وما فُسِّر من الفاظ اللغة .

اميرة بابلية لدى الدروز

تأليف پول هنري بوردو — تعريب ميشيل سليم كميد

١٠٤ ص . متوسطة صغيرة – المطبعة العصرية ، مصر ، ١٩٣٢

هي رواية خيالية ألّفها ابنة الكاتب الفرنسوي المعروف السيد هنري بوردو جاعلة بطلها اميرة بغدادية الاصل تحملها صروف الدهر على الالتجاء الى حمى الامير بشير الكبير في لبنان . ثم تنتهي حياتها التاعسة في لندرة . عرّب هذه الرواية الاديب ميشيل سليم كميد وعلّق عليها حواشي قليلة بعد ان قدّم على ذلك بحثاً اشار فيه الى « منهجه في التعريب وهو الامانة التامة في النقل.» ثم الحق بالرواية « تعليقاً في العنّ العربي واصله .» فاتى الكتاب لطيفاً مسلياً ، وان لم يهتمّ المعرّب بمبناه الاهتمام الواجب .

ف . ا . ب .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ شباط — ١٥ آذار ١٩٣٣

لبنان وسورية — جاء من رومة ان قداسة الحبر الاعظم قد منح غبطة البطريرك الماروني درع التثبيت المعروف « بالپاليوم » ، وكذلك منح الدرع نفسه لغبطة بطريرك الارمن الكاثوليك.

* رخص المفوّض السامي لحكومتي لبنـان وسورية ان تزيدا قيمة قطع العملة الفضية الى ما يبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠ ليرة لبنانية سورية.

* اصدر رئيس الحكومة اللبنانية ثلاثة مراسيم اشتراعية تقضي بالحصول على شهادة البكالوريا اللبنانية للتعليم الثنوي او على شهادة معتبرة رسمياً معادلة لها لمن يرغب في مزاولة المحاماة او الصيدلة او الطب . وذلك ابتداء من ١ ك ١ ١٩٣٦ للمحامين ، ومن ١ ت ٢ ١٩٣٨ للصيادلة ، ومن ١ ت ٢ ١٩٣٩ للاطباء .

* اذاعت وزارة المعارف السورية بلاغاً على دوائرها تطلب فيـه استعمال التاريخ الهجري في المعاملات .

* اصدر رئيس الجمهورية السورية مرسوماً يؤجل موعـد انعقاد المجلس النيابي الى ٢٢ نيسان .

* اضرب سوّاقو السيـارات اللبنانيون مدة ستة عشر يوماً احتجاجاً على فداحة الضرائب وغلاء البنزين . وقد حققت الحكومة بعض مطالبهم

العلويون — جبل الدروز — اجتمع زعماء العلويين في منطقة اللاذقية وقرروا استقلال بلادهم تحت انتداب فرنسة .

* اجتمع كذلك زعماء جبل الدروز وقرروا انفصال حكومتهم عن سورية .

مصر — زار مصر ملك ايطالية وملكتها فاقاما في انحائها من ٢٠ شباط الى ٩ آذار .

* ابلّ صدقي باشا رئيس الوزارة من مرضه .

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر .